386

HARLEQUIN

روايات أحلام

الثلج يحرق أحياناً

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

الثلج يحرق أحياناً

هل توقف الزمن فعلاً أم أن مولي بارتون أوقفت جريان الدم نحو قلب جون ويبر ؟
لقد كان إعجاباً من النظرة الأولى ثم حباً هز كيانه ... لكن عبثاً تضيع آماله في أن تبادله الشعور . فمولي مقتنعة أنها حبيبة رجل آخر.
بعد مرور ثلاث سنوات . وضعتها الصدفة على الطريق ذاته . ولكن جون عازم هذه المرة على الفوز بقلبها والحصول عليها مهما كان الثمن .
لكن مع تزايد التوتر بينهما . لم يجد أمامه سوى خيار واحد..

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-394-X

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Claiming His Christmas Bride
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited

© Carole mortimer 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2006

ISBN 9953 - 15 - 354 - x

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً اسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

www.elromancia.com

١ - هاربة...

- أعرف أن هذه هي حفلة تعميد، لكن أليس الوقت مبكراً لتبليل رأس الصبي؟

جمدت مولي، في مكانها، إلا أن كوب الماء اهتز في يدها ليسيل الماء منه إلى معصمها، مبلّلاً أكمام سترتها.

أضاف ذلك الصوت الساخر، المؤنّب: «لا داعي لتبليل نفسك أيضاً».

استدارت مولي بسخط وحدّقت بالرجل الواقف في المدخل، والذي يراقبها بعينين زرقاوين شبه مغمضتين.

جون ويبر!

أغمضت عينيها قليلاً غير مصدقة أنه هو بالذات.

آه! لا بد أن يكون هو.

هذا الرجل هو سبب مجيئها إلى هنا. فقد شعرت أنها بحاجة ماسة إلى كوب ماء، بعد أن أحسّت بجفاف في حلقها وهي تحاول تشجيع نفسها استعداداً لمواجهته في وقت لاحق من هذا الصباح.

لكن وقت المواجهة لم يطل، لأنه فرض نفسه على الفور. وما إن التفتت إلى الوراء لتنظر إلى جه جون ويبر، ، حتى لاحت على وجهه الطافح بالغرور نظرة الازدراء التي ارتسمت عليه في آخر مرة رأته فيها.

كانت تلك المرة الأولى والأخيرة!

ذلك لا يعني أن جاذبية الرجل بدت أقل خطورة مما كانت عليه قبل ما يزيد عن الثلاث سنوات، أي عندما التقيا لآخر مرة. فشعره ما زال مزيجاً غريباً من اللون الأشقر الذهبي والأشقر الداكن.

أما عيناه فبدتا بلون فضي داكن ضارب إلى الزرقة، وما زال أنفه الطويل يحتفظ بغروره، فوق فمه المحدد بدقة تامة، وذقنه العريض المليء بالتصميم.

لاحظت مولي أنه كان يرتدي بنطلون جينز مع قميص قطنية، في آخر مرة رأته فيها، لكنه اليوم يرتدي بذلة رسمية داكنة أنيقة جداً، أبرزت غروره أكثر فأكثر، لا سيما أن قميصه البيضاء بدت متناسبة مع بشرته الذهبية. اكتسب تلك السمرة من منتجع تزلج فخم يقع في مكان ما... هذا ما فكرت به مولي بامتعاض.

ردت بحدة بينما كانت تضع كوبها على الطاولة: «وماذا يفترض أن يعني كلامك هذا»؟

كشّر جون ويبر دونما أسف، وقال: «التقينا مرتين فقط، وبدا لي في كل مرة أنك تحاولين الاختباء!».

حدّقت فيه بامتعاض مرة أخرى، وأجابت مدافعة عن نفسها: «بل أنت من يظهر دوماً في وقت غير مناسب».

وبسخرية ظاهرة ردّ عليها معترفاً: «آه! ربما. لهذا السبب أصبحت معتاداً على رؤيتك وأنت تشعرين بالارتباك».

أخذت مولي نفساً عميقاً وقد لاحظت أنه لا يبذل أي جهد لإخفاء نبرته المهينة.

لطالما خشيت هذا اليوم منذ أن أخبرتها كريستال عن هوية عرّابي بيتر. إلاّ أنها أقنعت نفسها أخيراً بأن جون ويبر يتحلى، بلا شك، بأخلاق رفيعة، ما يمنعه من الإشارة إلى لقائهما الأخير الذي لا ينسى. لكنها اكتشفت، وعلى ضوء محادثتهما الحارة، بأنها مخطئة تماماً في فرضيتها، عن هذا.. هذا...

لو أن الظروف مختلفة، لربما وجدته «جذاباً بشكل لا يقاوم» أو، «وسيماً بشكل مميت»، على حد تعبير إحدى صديقاتها. لا شك في أن جون فائق الوسامة، إذ إن طوله يفوق الستة أقدام وهو يتمتع بجاذبية هائلة. لكنه أيضاً أحد الأشخاص القلائل الذين رأوها بحالة مزرية.

قرّرت مولي بحزم أن الوقت حان لتمسك بزمام هذه المحادثة، فقالت

بتصميم: «إن ما تتحدث عنه ليس إلاّ ظرفاً استثنائياً».

أومأ قليلاً برأسه، ثم قال بنبرة سطحية: «هذا ما تقولينه».

شعرت مولي بحمرة الخجل تحتل خديها بسبب سخريته الواضحة منها، بدا ذلك الاحمرار متناسباً تماماً مع تألق شعرها الكثيف. سحقاً لهذا الرجل الذي يصوّرها كأنها امرأة تافهة تتسكع في الخارج لتتهرب من مواجهة الآخرين.

لكن، أليس هذا هو الواقع بعينه؟ حسناً... ! نعم، ولكن...

ندّت عنها آهة تنم عن الانزعاج. ثم أومأت برأسها بوقار، وتابعت كلامها: «هذا ما أقوله. كنت فقط، كنت فقط...».

وما لبثت أن نصحت نفسها: آه! توقفي عن ذلك، قبل أن تمضي بكلامك أكثر. ثم ذكّرته: «أليس من المفترض بنا أن نغادر إلى الكنيسة في هذا الوقت».

أكّد لها جون ويبر بطريقته الجافة: «أرسلتني كريس بحثاً عنك لهذا السبب بالضبط».

أرسلت كريس هذا الرجل بحثاً عنها؟ لكن لِمَ لا؟ فكريس، من بين كل الناس، لا تملك أية فكرة كم تخشى رؤية هذا الرجل مجدداً، وإلى أي حد تريده بعيداً عنها.

استقامت في وقفتها وقالت: «أنا مستعدة إذا أردت ذلك».

احنى رأسه بطريقة ساخرة قبل أن يستدير ليفتح الباب لها، ثم دعاها بنعومة: «تفضلي!».

أصلحت مولي ياقة سترتها، ومشت وهي تدرك أن نظراته تتبع كل حركة من حركاتها.

وما إن تجاوزته في المدخل حتى همس جون ويبر بنعومة: «هناك أمر آخر».

رفعت مولي نحوه عينين متعبتين، وقد شعرت بالتوتر على الفور، ثم قالت بحذر: «نعم...؟».

راحت تتساءل عما يكون ذلك الأمر الآخر الذي يود قوله لها، بالطبع عدا عن تذكيره إياها بلقائهما الأول الذي لا ينسى!

ندّت عنه ابتسامة غير مرحة، وبدا ذلك الوميض من أسنانه البيضاء أقرب

www.elromancia.com

إلى وميض متوحش. وقال: «هل أخبرك أحد بأن ذوات الشعر الأحمر لا تناسبهن الألوان الزهرية؟».

أتت ملاحظته هذه بشكل غير متوقع. وتستطيع مولي اعتبارها مهينة جداً، بما أن شعرها أحمر، والبذلة التي ترتديها زهرية اللون. بقيت للحظات عدة عاجزة عن فعل أي شيء سوى فتح فمها وإغلاقه بدون أن تنبس بنت شفة، مثل سمكة ذهبية اللون موضوعة في إناء زجاجي.

شعّت عيناها بالغضب عندما استدارت لتحدق بجون ويبر بتعجرف. ثم قالت بقسوة: «لا شك في أن معظم الرجال لديهم من التهذيب ما يمنعهم من قول شيء كهذا».

شعّ المرح من عينيه، وردّ عليها: «لا يستطيع معظم الرجال تذكر الثياب التي ارتدتها أية امرأة في اليوم السابق، دعك من معرفة ما إذا كانت ثيابها تناسبها أم لا».

اعترفت مولي بمرارة أنه على حق في هذا، واتجه تفكيرها على الفور نحو زوج والدتها. فهي متأكدة من عدم ملاحظة ماثيو لما ترتديه كارولين مطلقاً.

- أنا..

ما إن رأتها كريس في نهاية الرواق، حتى صاحت بارتياح: «مولي!».

تابعت مسيرها في الرواق، ولحقت بمولي كي تشبك يدها معها وأضافت: «وجون أيضاً؟ ظننا أنكما قررتما أخيراً ألاّ تكونا عرابي بيتر، وأن تفرّا معاً!».

ندّت عن مولي شهقة مستنكرة لهذا السيناريو المحتمل، حتى إنها لم تجرؤ على النظر باتجاه جون ويبر لتعرف ردة فعله على تلك الملاحظة. لكنها استطاعت أن تخمّن سخريته المتمثلة بزمّه لشفتيه. لا سيما أنها ترتدي تلك البذلة الزهرية اللون والتي تناقضت بشدة مع شعرها الأحمر.

تباً له لأنه أسمعها ملاحظته هذه، فهي لن تشعر بالارتياح بعد الآن لارتدائها هذه البذلة، وتلك الثقة بالنفس التي استمدتها من الانفراد بنفسها تلاشت مثل تلاشي الضباب.

لكن، يبقى عليها أن تحضر حفلة التعميد وبقية النشاطات لهذا اليوم. فبعد

أن ينتهي هذا النهار بمشاغله، تستطيع أن تصرخ وأن تضرب الأرض بقدميها. وذلك بعد أن تتمتع بالعزلة التي توفرها لها غرفة النوم المخصصة للضيوف، الواقعة في الطابق الثالث!

ظلت هي وكريستال على صداقة حميمة منذ أيام المدرسة، لكنهما افترقتا بعد ذلك. وأصبحت كريس طاهية من الدرجة الأولى، وهي تدير الآن مطعماً ناجحاً، بالإضافة إلى ظهورها في برنامجها الخاص بالطبخ. أما مولي فقد اختارت التمثيل.

تزوجت كريس منذ ثلاث سنوات ونصف، إلاّ أن زواجها انتهى بكارثة عندما مات زوجها جايمس نتيجة إصابته بالسرطان بعد شهور قليلة فقط. لكن مولي شعرت بالسعادة لأن كريس التقت بأخيها غير الشقيق سام، وتزوجته منذ حوالى العامين. ورُزق الزوجان بابن أسمياه بيتر جايمس، وهو يبلغ من العمر ثلاثة أشهر ونصف الشهر. واليوم موعد حفلة تعميده، وذلك قبل ثلاثة أيام من عيد الميلاد.

لكن النقطة السوداء الوحيدة في الموضوع، بل الغيمة الوحيدة في أفق مولي حالياً، هي طلب سام وكريس من شقيق زوج كريس السابق جايمس الأكبر ويدعى جون، بأن يكون أحد عرابي بيتر. أبلغت كريس مولي والسعادة تغمر وجهها أنه بدا مسروراً لقبول هذا الشرف.

هذا الأمر وضع مولي في ما يشبه الورطة، لأن ذكرياتها من لقائها الوحيد مع جون ويبر غير سعيدة، وهي متأكدة من أن شعوره تجاهها ودي. لكن بما أن سام وكريس طلبا منها أن تكون عرابة بيتر، وهي قبلت بذلك فوراً، صعُب عليها أن تغيّر رأيها لأن جون ويبر هو أحد العرابين. هل تستطيع أن تفعل ذلك؟

بالطبع لا! تسلّحت مولي بكل سلاح أنثوي تطاله يدها كي تحتفظ بثقتها بنفسها، تلك الثقة التي تحتاجها لمواجهة الرجل: تسريحة الشعر الجديد، زينة الوجه التي وضعتها يد محترفة ماهرة، الملابس الجديدة والحذاء الجديد. لكنها لم تضع في حسبانها أن جون ويبر هو في الواقع مهندس داخلي، مثل أخيه

الأصغر، وأنه سيعرف بحكم عمله أنها ترتدي تلك البذلة الزهرية التي لا تتناسب مع شعرها الأحمر!

لحسن الحظ، جاءت كريس وقاطعت المجابهة القائمة بينهما. وهكذا، وفرت عليها تحمل إهانات إضافية من ذلك الرجل.

وجدت مولي نفسها في سيارة واحدة مع زوج والدتها أثناء مغادرة الجموع المنزل باتجاه الكنيسة الواقعة في ذلك الجزء الفائق الجمال من يوركشاير، حيث تمضي كريس وسام معظم أوقاتهما هذه الأيام. أما والدتها والعراب الثاني فقد اختارا الذهاب مع جون ويبر في سيارته الجاغوار ذات اللون الأخضر القاتم، فيما اختار سام وكريس الانتقال إلى الكنيسة لوحدهما مع بيتر جايمس.

أما ميرلين، الكلب الإيرلندي الذي يملكه سام، وحارس بيتر جايمس منذ اليوم الأول لولادته ووصوله إلى البيت من المستشفى حيث ولد، فاختار الجلوس وحيداً في طريق المدخل لمراقبة مغادرة الجميع، وقد عزم على الانتظار هناك حتى عودتهما مع الأمانة الغالية التي يحملانها.

سألت مولي بنبرة غير مكترثة: «ماذا ترتدي أمي من ملابس، يا ماثيو؟».

ركّز ماثيو على اللحاق بسيارة سام في تلك المسافة القصيرة المتبقية للوصول إلى الكنيسة، وكرّر بعبوس: «ترتدي؟».

أكدت مولي سؤالها بطريقة جافة وقالت: «نعم. ماذا ترتدي؟».

ثم أضافت موضحة: «ما لون ثوبها؟».

ازداد عمق العبوس الذي ظهر على وجه زوج والدتها لأن السؤال استدعى منه بعض التفكير. وأخيراً قال باهتمام وهو يومىء بحزم: «حسناً! أظن أن ثيابها زرقاء.. أو ربما خضراء. وأعتقد أنها ترتدي فستاناً.. على الأرجح. وعلى أي حال أنا متأكد بأن لونه أزرق أو أخضر».

كانت مولي قد رأت والدتها حين وصولها قبل ما يزيد عن الساعة، وتأكدت من أن البذلة الزرقاء أو الخضراء تلك هي في الواقع فستان مع سترة طويلة فيروزية اللون، وهذا يفسّر لماذا يعتبرها معظم الرجال إما زرقاء، وإما خضراء...

وهذا ما يفسّر في تقديرات مولي أن جون ويبر ليس مثل بقية الرجال. حسناً! إنها تعرف ذلك سلفاً.. اعترفت بذلك مع آهة أطلقتها بينما كانت تلتفت لتنظر خارج نافذة السيارة باتجاه يوركشاير مورز.

لكم تمنت أن ينتهي هذا النهار بسرعة، لتنصرف إلى الاستمتاع بعيد الميلاد مع كريس، وسام، والطفل بيتر جايمس. ذلك أن والديها سيغادران غداً ليباشرا عطلة بحرية طويلة، تقودهما إلى أمكنة أخرى أشد دفئاً من إنجلترا، بحيث يزوران مناطق متعددة. وهكذا لن يكونا هنا لتمضية الأعياد. وهذا ما يفسّر تحديد موعد حفلة التعميد هذا اليوم، أي قبل موعد مغادرة الأهل إلى مناطق أكثر دفئاً.

لكن ما مشكلتها؟ إنه مجرد يوم واحد. حتى إنه ليس يوماً كاملاً، بل عدة ساعات فقط في الواقع. وسوف يغادر بعدها جون ويبر، ويستطيع الأربعة بعد ذلك الانصراف إلى التحضير لعيد الميلاد القادم.

لكن، إذا ما استمر جون ويبر بإهاناته، فستكون الساعات القليلة القادمة التي ستمضيها برفقته كأنها دهر بكامله.

- أترغبين بكوب من العصير؟

التفتت مولي بعبوس نحو مصدر الصوت، لكن عبوسها تلاشى حينما رأت دافيد سترونغ، وهو ممثل لعب دور البطولة في مسلسل تلفزيوني كتبه أخوها غير الشقيق سام. ودافيد هو العرّاب الثاني لبيتر.

استطاع دافيد، وهو في أوائل الأربعينات من عمره أن يطبع السلسلة التلفزيونية المسماة بايلي بسحره الخاص، بقامته الطويلة، وبشرته السمراء، وسامته التي تفوق الوصف.

لكنه ترمّل قبل أشهر قليلة عندما قُتلت زوجته في حادث سيارة. وما زال الحزن يطل من عينيه، ويقبع وراء خطوط فمه، بالرغم من ابتسامته الدافئة. ما يدلّ على حزنه الذي لم يمر عليه زمن طويل بعد.

- شكراً.

قبلت مولي الكوب الذي ناولها إياه دافيد. ولأنها التقت دافيد مرات

عديدة في مناسبات اجتماعية سابقة، وجدت نفسها ترتاح تماماً إلى رفقته.

ومع أنها لم تستطع الامتناع عن اختلاس النظر في الغرفة لتتأكد ما إذا كان جون ويبر يراقب تحركاتها، فهي لم تستطع كبت شعورها بالانزعاج عندما رفع باتجاهها كوبه، برغم اكتظاظ غرفة جلوس كريس وسام بالضيوف.

تباً لذلك الرجل! أي نوع من الرجال هو؟ أهو فرقة كاملة متمثلة برجل واحد؟ أم أن الأمر يقتصر عنده على إزعاجها هي فقط...؟

اعترفت لنفسها بتثاقل أن الأمر قد يكون كذلك. وتمنت مرة أخرى لو أن ذاك الذي رآها بحالتها المزرية قبل أكثر من ثلاث سنوات، كان شخصاً غيره.

مع أن عالم التمثيل هو عالم متسامح عادة بالنسبة إلى السهر إلى وقت متأخر، إلاّ أن مولي نادراً ما كانت تلجأ إلى ذلك، لأن السهر والإنهاك لا يتناسبان أبداً مع مواعيد تمارينها المبكرة، أو ظهورها المتأخر على المسرح. وهذا هو السبب الذي جعلها تبدو بحالة يرثى لها منذ ما يزيد عن السنوات الثلاث!

لكنها ذكّرت نفسها بأن سبباً قوياً دفعها إلى ذلك. يومها وجدت نفسها واقعة في غرام رجل متزوج، وأكد لها الرجل أنه لا ينوي التخلي عن زوجته من أجلها مطلقاً. استغل حبها له، ثم تخلى عنها وتركها على حافة الانهيار.

أعادت انتباهها مجدداً إلى دافيد سترونغ. فبعد كل شيء كان الرجل بمثل وسامة جون ويبر تقريباً، وهو بالتأكيد أكثر لطفاً منه!

أبلغته بحرارة: «أنا مسرورة للقائك مرة أخرى».

أومأ قائلاً: «وأنا كذلك».

تغضنت زاويتا عينيه عندما ابتسم. ثم رفع حاجبين داكنين متسائلين، وقال: «مع أنه يفترض بنا أن نرى بعضنا أكثر في المستقبل القريب كما أسمع...؟».

صوّبت مولي ابتسامة متسائلة باتجاه دافيد وقالت: «أتمانع؟».

أجاب بسرعة: «لا! مطلقاً».

واتبع ذلك بابتسامته الشهيرة التي جعلته محبباً لدى مشاهدي التلفزيون. ثم

أضاف بنبرة واثقة: «أعتقد أن الوقت حان كي ينشغل بايلي باهتمامات غرامية أكثر ثباتاً في حياته».

لم يكن هذا ما قصدته مولي بالضبط بسؤالها، بل إن ما قصدته هو أن ظهور كاتب مسلسل تلفزيوني في الاستديو في أي وقت يريد، كما يفعل سام، هو شيء، وظهور الأخت غير الشقيقة لذلك الكاتب في المسلسل هو شيء آخر. وخصوصاً ظهورها على أساس أنها الصديقة الدائمة لذلك البطل!

دأبت مولي على العمل في المسرح، وخصوصاً المسرح الأمريكي، في السنوات القليلة الماضية، لكنها لعبت بعض الأدوار في التلفزيون، وصممت على الاستمرار في هذا المجال في المستقبل القريب.

لكن سام أرسل إليها منذ عدة أشهر أول نصّ كتبه لمسلسل بايلي الجديد، الذي يُنتظر تصويره عند بداية العام الجديد، وأرفق سام نصّه مع رسالة مبطنة يقول فيها: «كتبت دور دايزي مستلهماً إياك، ولهذا لا يستطيع أحد القيام بهذا الدور غيرك! تعالي إلى الوطن. أنا أحتاجك».

كانت هذه الرسالة كافية لإثارة الفضول عند أيّ كان، إلاّ أن مولي أصبحت أقل ثقة بعد قراءة نصّ الفصل الأول!

لكن مدير البرنامج بدا سعيداً عند مشاهدته التجربة التي أدتها لدى عودتها إلى إنجلترا قبل عدة أسابيع، ولم يتردد في أن يعرض عليها توقيع العقد على الفور، بالنسبة لحلقات مسلسل بايلي القادمة.

ظنت مولي أن هذا الجزء المحدد من الأخبار لم يتسرب بعد، لكن اتضح لها أنها مخطئة. فقد اضطرت إلى تصحيح معلومات دافيد بمرارة، وقالت: «كنت أعني في الواقع.. هل لديك مانع في ظهوري في مسلسل بايلي معك؟».

رفع دافيد حاجبين داكنين، وردّ عليها: «أكّدلي المخرج أنك كنت رائعة في التجربة، فلماذا أمانع؟».

هزّت كتفيها بإحراج وقالت: «حسناً! سام هو أخي..».

تابعت مولي موضحة ما هو معروف للجميع: «.. لا أحب أن تعتقد أنت... أو بالأحرى، بعض الأشخاص قد يعتقدون بأن لذلك علاقة

www.elromancia.com

بحصولي على الدور».

وابتسمت قليلاً بعد انتهائها من كلامها.

تشدق صوت ينم عن الإهانة: «أظن أن الكلمة التي تبحثين عنها هي محاباة الأقارب».

كان ذلك صوت جون ويبر، بالطبع، بالطبع! وبدا أنه لا يريد تفويت أية فرصة لإهانتها. وتساءلت مولي بغضب إذا كان مسموحاً للعرابة أن تضرب أحد العرابين في حفلة التعميد!

حيا دافيد الرجل الآخر بحرارة: «مرحباً جون!».

ما منح مولي الوقت الضروري لتشبك يديها، وتمنع نفسها من الاستسلام لدافعها الأول. أضاف الممثل مبتسماً: «أنا سعيد برؤيتك مجدداً».

مجدداً؟ تساءلت مولي بعبوس، منذ متى تتقاطع مسارات الممثلين في التلفزيون ومهندسي الديكور! إنها لا تتقاطع أبداً، أو هكذا تمنّت عندما قررت العودة إلى إنكلترا. إلاّ أنه تبيّن لها الآن أنها مخطئة بهذا الشأن..

أضاف دافيد وهو يبتسم: «تستطيع إغفال موضوع محاباة الأقارب، لأن الاعتبارات كلها تدل على أن هذه السيدة الصغيرة تستطيع جذب انتباه الجمهور حتى لو كانت ترتدي كيساً من الخيش».

ردّ جون ويبر بطريقة جافة: «فما بالك وهي ترتدي ثيابها الداخلية فقط، كما استنتجت!».

ضاعت الشهقة المستنكرة التي أطلقتها مولي وسط أصوات الضحكة التي أطلقها دافيد. بدا من الواضح أنه اعتقد أن الرجل الآخر يمزح فقط. لكن مولي كانت تعرف الحقيقة.

نظرت باتجاه جون ويبر بعينين ضيقتين، فلاحظت أن تعابير وجهه توحي بالسخرية الواضحة، واستطاعت أن تشعر بالألوان تزحف إلى خديها. ما الذي يقصده الرجل بملاحظته هذه؟

علّق دافيد على كلام الرجل الآخر بمرح: «وكيف عرفت أن عليها الظهور بثيابها الداخلية في الفصل الرابع؟».

لم تفارق نظرات جون وجه مولي، حتى وهو يجيب دافيد قائلاً: «إنه مجرد تخمين موفق!».

لم تجد مولي المجال الذي يتيح لها فهم ما قاله دافيد للتو. هل يتضمن أحد المشاهد ظهورها بثيابها الداخلية؟

بسبب عودتها من أمريكا قبل أسبوعين فقط، ولأنها انشغلت بأمر انتقالها إلى الشقة التي استأجرتها في لندن، لم يتسن لها الوقت الكافي لقراءة الفصول الأخرى من مسلسل «بايلي» الجديد.

www.elromancia.com

٢ - حب أم كراهية؟

رفعت مولي ذقنها بتحدٍ واضح لجون قبل أن تلتفت مبتسمة لدافيد. وتمنت لو أن الاضطراب الذي تشعر به في داخلها يبقى في الداخل، ثم أكدت له بمرح: «أعتقد أن الأمر سيكون مسلياً».

لم يأت أحد حتى هذه اللحظة على ذكر مسألة ظهورها بثيابها الداخلية في الفصل الرابع أو في أي فصل آخر، مع أنها وقّعت على العقد في وقت سابق. إذاً، لتنتظر حتى تلتقي بسام!

ابتسمَ دافيد ابتسامة صبيانية، ورد عليها قائلاً: «أنا أيضاً أظنه كذلك. وعليّ أن أقول إن زواج سام السعيد من كريس أنعش المسلسل بكامله».

نظر جون إلى حيث كان سام وكريس يتحدثان معاً بنعومة، ثم تمتم بسخرية قائلاً: «إنهما سعيدان معاً، أليس كذلك؟».

كانت عيونهما تشعان بالحب الذي يشعران به تجاه بعضهما البعض. ذلك الحب الذي تعمق مع ولادة ابنهما. قالت مولي برقة وقد ظهر العبوس في عينيها: «بالطبع إنهما كذلك».

ولأن كريس كانت متزوجة من شقيقه الأصغر، فبالتأكيد لن يحسدها هذا الرجل على السعادة التي وجدتها الآن مع سام. تعرف مولي أن كريس أحبّت جايمس كثيراً، ولكنها الآن في التاسعة والعشرين من عمرها فقط، أي بمثل سن مولي نفسها، ومن المؤكد أن جون لم يفترض أن كريس ستظل مخلصة لذكرى أخيه طيلة حياتها. وإذا ما افترض ذلك، فكان الأجدر به ألا يوافق على أن يكون عرّاب بيتر.

التفت جون نحوها مجدداً، ليحدّق بعينيها الزرقاوين القاسيتين كالياقوت، ثم قال بخشونة: «إذاً لنأمل أن يظلاّ كذلك».

زاد عبوس مولي وتعمق قبل أن تجيب: «ولمَ لا يظلان كذلك؟».

تدخل دافيد هذه المرة قائلاً بهدوء: «أعتقدُ أنهما نالا نصيبهما من الحظ العاثر في ما يتعلق بالحب».

نظراً للخسارة التي مني بها دافيد حديثاً، بدا لمولي من غير اللائق أن تتابع حديثها مع جون أمامه، حتى لو كان العداء بينهما عميقاً لدرجة أنه يمكنها قطعه بحد السكين.

وضعت يداً معتذرة على ذراع دافيد، وقالت بتأثر: «إنك على حق يا دافي، أليس كذلك يا جون؟».

وافق جون بخفة على كلامها: «أعتقد ذلك... نعم».

لكن شعوراً أعمق بكثير بان لفترة وجيزة في نظرته الداكنة وهو يتابع التحديق بها. ماذا قصد بتلك الملاحظة بالضبط؟ وبتلك النظرة؟

أخذت نفساً عميقاً، وتعمّدت تحويل عينيها عن نظراته الآسرة. ثم أضافت معتذرة لأن والديها لن يلبثا طويلاً حتى يغادرا المكان: «عذراً منكما، أريد أن أذهب لأقضي بعض الوقت مع والديّ قبل أن ينصرفا».

جاء تأكيد جون وبر على الفور: «لن أؤخرك إذاً».

تساءلت مولي عن السبب الذي دفع به للاشتراك في هذا الحديث إذا ما كان يريد تجنّب رفقتها. تذكر دافيد أخيراً أنه لم يبتسم لها فقال: «أراكِ لاحقاً».

لم تخسر مولي حتى نظرة واحدة باتجاه جون قبل أن تبتعد عنهما لتنضم إلى والديها اللذين يقفان معاً في الغرفة. لكنها قالت بنعومة: «بالطبع».

سحقاً لهذا الرجل! سحقاً. سحقاً. سحقاً!

من المفترض أن تكون حفلة التعميد اليوم مناسبة عائلية رائعة ومليئة بالدفء والحب لكن بسبب وجود جون وبر تحولت هذه المناسبة إلى كابوس بالنسبة لمولي. كابوس رغبت أن تضع حداً له في أول فرصة تسنح لها.

* * *

- أنت!

عبّرت مولي عن خيبة أملها صباح اليوم التالي، عندما دخلت المطبخ

www.elromancia.com

لتحضّر لنفسها كوباً من القهوة، فوجدت نفسها بمواجهة جون ويبر. وبدا من الواضح أنه يفعل الشيء نفسه بالضبط.

استطاعت مولي في اليوم السابق أن تجد العذر لمغادرة حفلة التعميد، فور انصراف والديها. فادّعت أن صداعاً ألمّ بها، مع أن ذلك لم يكن صحيحاً البتة. لذا، فإنها لم تعرف إطلاقاً أن جون ويبر أيضاً قد أمضى الليلة في هذا المنزل.

جاءت ابتسامته لتسخر من انزعاجها الواضح جراء وجوده هنا. أمسك وعاء القهوة بيده قائلاً: «أتريدين قهوة؟».

- شكراً لك.

استطاعت مولي أن تنطق بهذه الكلمات من خلال حنجرة أصبحت جافة على الفور، وشفتين صارتا مخدرتين. راحت تتساءل الذي يفعله هذا الرجل هنا!

لاحظت مولي أن الشمس ساطعة، على غير عادتها في مثل هذا الوقت من كانون الأول، وأن الطيور تغرّد أيضاً. أثناء نزولها على الدرج بخفة، ملأتها كل هذه الأجواء بتوقعات ممتعة عن اليوم الذي بدأ للتو. وهي التوقعات ذاتها التي انقلبت رأساً على عقب وأخذت منحى السقوط الأكبر! دفع جون بكوب من القهوة التي تعبق بالبخار إلى يديها المرتعشتين، وقال: «خذي... اشربي شيئاً من هذا».

أضاف بسخرية: «أما زال صداعك شديداً؟».

هو سبب صداعها! و.. نعم، إنه شديد. بدأت تشعر بطرقات قوية في منطقة ما خلف عينيها، لم تكن موجودة قبل ثوان قليلة.

- لم أكن متأكداً من أنك تشربينها محلاّة.

قال هذا حينما جلست لترتشف شيئاً من القهوة. لكن ما إن رشفت مولي رشفتها الأولى حتى كادت تختنق. فهذه القهوة لم تكن مرة فقط، بل قوية جداً لدرجة أنها كادت تذيب الطبقة الخارجية من أسنانها.

- لا بأس بها.

هذا ما استطاعت النطق به، بينما امتلأت عيناها بالدموع بسبب الصفعة

المدوية التي تلقاها ظهرها من جون. وبالطبع لم يستطع قماش البذلة الكتانية الخضراء التي ارتدتها، أن يقيها من شدة ضربة يده.

حسناً! إذاً، فقد نام هنا هذه الليلة بغض النظر عن دوافعه. تقبّلت هذا الواقع، لكنها لم تحصل على جواب عن سؤالها: ما الذي يفعله هنا؟

وقبل أن يجلس على الكرسي قبالتها إلى طاولة المطبخ، تطوع جون ليقول لها باقتضاب: «اصطحبت كريس وسام الطفل ومريلين في نزهة».

لم تتفاجأ مولي بذلك، لكن الأمر الذي أثار اضطرابها هو أنها تُركت لوحدها، وإن لبعض الوقت، مع شخص يظهر احتقاره لها بوضوح.

جلس جون قبالتها وراح يرتشف بهدوء كوب قهوته. قالت له بنبرة قاسية: «لا تدعني أؤخرك عن أي شيء».

رفع حاجبين ساخرين وقال: «ما الذي تقصدينه؟».

هزّت كتفيها مستنكرة: «أقصد تناولك لفطورك، وتحضيرك لحقيبتك، ومغادرتك هذا المكان».

فكلما عجّل بالمغادرة، كلما استطاعت أن ترتاح بسرعة. وهو الأمر الذي لا يمكنها الحصول عليه بوجود هذا الرجل، فكل ملاحظة وجهها لها كانت مزدوجة المعنى.

رد عليها على الفور: «لا أظن أنني أميل إلى تناول الفطور. تناولي فطورك أنت إذا شئت».

لم تشعر بميل إلى تناول فطورها هي أيضاً، وقالت: «شكراً، لن أتناول فطوري الآن».

لكن، ماذا بشأن تحضيره لحقيبته؟ فملابسه ليست رسمية هذا اليوم، واقتصرت على جينز أسود وقميص رياضية ذات لون أزرق داكن. وهذا يعني أنه ما زال عليه، على الأقل، أن يضع بذلته التي ارتداها البارحة في الحقيبة...

قال جون بخفة: «من المؤسف أنك تركتِ الحفلة البارحة في وقت مبكر».

من المؤكد أنه لم يفتقدها البتة! أم تراه لم يجد غيرها ليسلّط لسانه اللاذع عليه، بعد أن ذهبت لتنام في الطابق العلوي؟ لعلّ هذه الفرضية هي الأقرب إلى

www.elromancia.com

الواقع.

تبرّع جون بشرح أكثر، وإن بطريقة جافة: «أغرقنا دافيد بقصصه عن عالم التمثيل».

إنها مستعدة للمراهنة على أنه فعل ذلك، لأنها تعلمت من تجربتها أن ما يجري خلف كواليس عالم التمثيل هو أكثر مما يبدو أمام الكاميرا.

لاح شبح ابتسامة على وجهها، وقالت: «أنا واثقة أن لكل منا الكثير كي يرويه».

- حتى أنتِ؟

لم تَدرِ لما بدت كلماته وكأنه يقول لها: «خصوصاً أنتِ!». أم أنها مفرطة في الحساسية في كل ما يتعلق بهذا الرجل؟

مرّرت لسانها على شفتيها الجافتين لترطبهما. أخيراً قالت: «أظن أننا بحاجة إلى التحدث مع بعضنا البعض ياجون».

لكن دافيد الذي دخل لتوه إلى المطبخ بادرهما بتحية قلبية. كان يرتدي ملابس رياضية مؤلفة من بنطلون وقميص مفتوحة الياقة، لكنه كان حافياً، وشعره الداكن ما زال أشعث بعد النوم. قال لهما: «عمتما صباحاً».

رفعت مولي نظرها لتحدق فيه مذهولة. هل هذا يعني أن دافيد قد أمضى ليلته هنا أيضاً؟ يبدو أن هذا ما حصل بالفعل! ويبدو أن ما فاتها ليلة البارحة هو أكثر من تلك القصص بسبب توجهها للنوم باكراً.

قال دافيد محدثاً: «لا أدري إن كان السبب هو هواء يوركشاير المنعش، أم السهر حتى وقت متأخر..».

ثم مضى يسكب كوباً من القهوة القوية لنفسه، مرتشفاً إياها بمتعة ظاهرة، وتابع قائلاً: «نلتُ الليلة الماضية نوماً مريحاً لم أحصل على مثله منذ أشهر».

بدا استمتاعه واضحاً أثناء جلوسه إلى الطاولة لينضم إليهما. ثم قال باهتمام: «إذاً، أين هو ابننا الروحي في هذا الصباح؟».

ابنهم الروحي..! أدركت مولي، ولأول مرّة، أن الثلاثة قد ارتبطوا بهذه العلاقة مع بيتر جايمس، وإلى الأبد. الأمر لا يبدو سيئاً بالنسبة لدافيد، لكن

جون ويبر كان موضوعاً آخر تماماً.

تبرع جون بالرد على سؤال الرجل وقال: «خرج في نزهة مع والديه ومريلين».

وقبل أن يلتفت لينظر نحوها بسخرية، تابع بطريقة جافة: «عليك أن تعذر مولي يا دافيد، فهي ليست من النوع الذي يحب الحديث في الصباح».

حقاً! لم تشعر مولي أنها بخير هذا الصباح، لأنها ما فتئت تتلقى مفاجأة تلو أخرى. إلاّ أنها اعتقدت أن جون لم يكن يشير بالضرورة إلى هذا الصباح بالذات...

ضاقت عيناها أثناء تحديقها به، ثم قالت بتهذيب: «أنا لست معتادة على استقبال الضيوف في الصباح».

رفع حاجبين ساخرين وقال: «أحقاً؟».

إنه يلمّح بالفعل إلى شيء آخر. من الواضح أن هذا الرجل حكم عليها وحاكمها بناءً على دليل رآه في أحد الصباحات منذ ما يزيد عن الثلاث سنوات... صباح واحد فقط...

يومها بدا شعرها أشعث، وعيناها ثقيلتين بسبب قلة النوم. رآها في ذلك الوقت وهي ترتدي قميص رجل آخر....

هناك تفسير لما رآه جون، أو لما ظن أنه رآه، لكنها شكّت كثيراً برغبة جون في سماع تفسيرها وبرغبته في تصديقه!

فجأة وقفت وقالت بنبرة متوترة: «أرغب بالتنزه في الخارج كي أنتظر عودة كريس و سام».

تمنت لو أن جون يغادر قبل عودتها. لكنها شكّت في مغادرته قبل أن يودّع كريس وسام. أبلغها دافيد وهو يهبّ واقفاً: «إذا انتظرتِ دقيقة واحدة كي أنتعل حذائي، فسوف أنضم إليك».

ثم توجه إلى الرجل الآخر قائلاً بجبور: «وأنت يا جون؟».

هزّ جون رأسه وأجاب قائلاً: «اذهبا أنتما الاثنان. عليّ أن أجري بعض الاتصالات الهاتفية هذا الصباح».

أوماً دافيد موافقاً. لكن هذه الفكرة لم تبدُ مطمئنة لمولي. إذا كان جون منهمكاً بإجراء هذه المكالمات الهاتفية، فهل هذا يعني أن إقامته هنا ستطول؟

بعد دقائق قليلة من بدئهما لجولتهما في الطريق المليئة بالحصى، قال دافيد: «ما الذي يجري بينكما؟».

ظهرت الدهشة على وجه مولي، فقال لها دافيد شارحاً: «بينك وبين جون؟».

ردت بتثاقل: «أنا و...؟ لا شيء».

رفع دافيد حاجبيه، وقال: «ليس هذا هو الانطباع الذي تكوّن لدي، سواء البارحة أم اليوم. هيا يا مولي، سنعمل سوياً طيلة أشهر. أنا متأكد من أنني سأكتشف بنفسي إن كنتِ متورطة مع أحدهم».

ابتسم ابتسامة صبيانية، لكن مولي لم تستطع منع نفسها من الغضب، وعلا خديها الاحمرار وهي تقول بانفعال: «حسناً! من المؤكد أنه لن يكون جون ويبر».

أضافت باشمئزاز: «لا ينفك هذا الرجل عن إهانتي كلما فتح فمه».

ماذا يمكنها أن تفعل حيال هذا الوضع؟ لا تنكر مولي أنها مرت بعلاقات عاطفية في الماضي، كل ما في الأمر هو أن جون ويبر كان شاهداً على المرة الوحيدة التي جعلت من نفسها فيها حمقاء تماماً.

مازحها دافيد ضاحكاً بقوله: «لو كنا مراهقين جميعاً، لقلت إن ذلك هو دلالة أكيدة على أن جون يحبك».

ردّت مولي بسخط: «حسناً! إننا لسنا كذلك».

الدلائل التي رأتها حتى الآن تشير إلى أن جون ويبر لم يمر بفترة المراهقة، وأنه انتقل مباشرة من الطفولة ليصبح ذلك الرجل الفظ الذي يبدو عليه الآن.

تابعت قائلة: «أستطيع أن أؤكد لك أنه ليس كذلك».

تأوهت بشدة لأنها تعلم أن مشاعر جون تجاهها هي أكثر تعقيداً من ذلك.

قال دافيد متنازلاً: «إن كان هذا ما تريدينه».

لكنه مع ذلك أعطى الانطباع بأنه لا يصدقها!

بعد قليل، قال بحماس ظاهر: «يا لها من منطقة جميلة للسكن! أليس كذلك؟».

أكملا نزهتهما في ذلك المكان الفسيح. ثم قال باهتمام بالغ: «عندما قرر سام أن يعزل نفسه هنا، ظننته مجنوناً. لكني أدرك الآن روعة هذا المكان. حتى إن المكان أصبح أكثر روعة بعد أن تزوج بكريس. أعرف أنكما بقيتما على صداقتكما منذ وقت طويل، أليس كذلك؟».

قالت مولي مؤكدة: «منذ أيام المدرسة».

أوماً دافيد، وأضاف: «إذاً، لا بد أنك تعرفين جايمس ويبر أيضاً».

عبست مولي بعد أن سمعت اسم الأخ الأصغر لجون، والذي كان الزوج الأول لكريس. ضاقت عيناها وهي تنظر إلى دافيد لتستطلع المعاني الكامنة وراء كلماته، لكنه بدا غارقاً في ذلك الجمال الرائع الذي يحيط بمنزل فالكون.

أخيراً، قالت بهدوء: «نعم التقيت جايمس في الجامعة».

وأضافت بكآبة: «في الواقع، أنا التي عرّفته على كريس».

بدا واضحاً أنها ما زالت تشعر بالذنب لأنها سببت لكريس كل هذا الشقاء. إذ ما لبث جايمس أن توفي عقب مرور أشهر قليلة على زواجه منها. وشعورها هذا لم يختفِ تماماً، بالرغم من زواج كريس السعيد من سام.

التفت دافيد نحوها بعد أن رفع حاجبيه وقال: «إذاً، لا بد أنك تعرفت على جون أيضاً، فالشقيقان عملا سوية».

لحسن الحظ كان جون ويبر أكبر بعشر سنوات من شقيقه، وهكذا لم يكن من ضمن مجموعة أصدقائها. وفي حقيقة الأمر، التقته مولي مرة واحدة. لكن تلك المرة كانت كافية جداً... بل أكثر من كافية.

صوبت نحو دافيد ابتسامة تأنيب، وقالت له: «إنك في الواقع تضيّع وقتك يا دافيد.. فجون ويبر وأنا لا نتبادل أي إعجاب أبداً ما بيننا».

عبس قليلاً وردّ عليها: «هل تعرف كريس ذلك؟».

عبست هي أيضاً، ثم قالت فجأة: «بالطبع لا. لماذا يُفترض بها أن تعرف؟».

هزّ دافيد كتفيه وقال: «حسناً! ينحصر الأمر فقط.. آه، ها هم جميعاً».

وأشار إلى سيارة اللاند روفر القادمة من ناحية الطريق، ثم استدار وهو يستعجل الرجوع إلى المنزل قائلاً: «اعذريني من فضلك. أعتقد أن مريلين لم يقرر بعد إذا ما كنتُ صديقاً أم عدواً».

ضحكت مولي بسعادة بينما نفذ دافيد انسحابه السريع نحو المنزل. أما هي، فوقفت بانتظار ترجل أخيها وكريس من السيارة. أما الطفل بيتر فقد تناوله والده من مؤخرة السيارة، بينما تبعه ميرلين مسرعاً.

بعد أن حملت كريس ابنها بين ذراعيها، نظرت حولها عابسة و قالت: «اعتقدت أنني رأيت دافيد برفقتك».

بدت رائعة وجميلة جداً بشعرها الأشقر اللامع المنسدل فوق ظهرها، ووجهها الجميل، وعينيها الرماديتين الساحرتين. بدا جسدها نحيلاً فاتناً، بالرغم من إنجابها لبيتر جايمس قبل أشهر قليلة فقط.

أومأت مولي مبتسمة، وقالت: «هل رأيته فعلاً؟ يبدو أنه يعتقد بأن مريلين يحتاج إلى وقت أكبر كي يعتاد عليه».

هزّ سام رأسه ساخراً، بينما راح يدغدغ الكلب الكبير خلف أذنيه، وقال: «أكّدت له أن مريلين لن يعضه إذا لم يبادر هو إلى عضّه».

راحت كريس تقهقه بسعادة، قبل أن تضع الطفل النائم فوق ذراعي مولي، وتعلن بلباقة: «أعتقد بأنه حان وقت تناول الفطور».

وبينما مشت باتجاه المنزل قررت كريس بإشراق: «سنتناول الفطائر المحلاة هذا الصباح».

سارت مولي ببطء وراء كريس وسام. في العادة، هي أول من يهلل لفطائر كريس، تلك الفطائر اللذيذة والخفيفة، وخصوصاً بعد إضافة عصير القيقب إليها. لكنها غير متحمسة لها هذا اليوم بالذات، لا سيّما أن سيارة الجاغوار الداكنة ما تزال مركونة أمام المدخل، ما يدل بوضوح على أن جون ويبر ما زال داخل المنزل.

فتح الطفل بيتر عينيه لينظر إليها بعينين زرقاوين واعيتين، فتوجهت إليه

قائلة بتمنٍ واضح: «لعله سيختنق عندما يتناول إحدى فطائر الماما المحلاة».

لكنها أسرعت للاعتراف معتذرة له: «أعرف.. أعرف أنه عرّابك، لكن لديك عرّاب آخر. بالإضافة إلى أنني أستطيع التمني، أليس كذلك؟».

سمعت صوتاً مألوفاً يتشدق بسخرية: «هل تتكلمين مع نفسك؟».

رفعت مولي نظرها بسرعة لتجد جون ويبر وقد اقترب من باب المطبخ أمام المنزل. يبدو أنه تقدم بهدوء كبير، بحيث لم تسمع وقع خطواته على الحصى. أما مريلين فقد سمعه بسهولة، لأنه مشى إلى جانب الرجل، وبدا سعيداً لرؤيته.

رفع جون حاجبين داكنين ساخرين، إذ لم تخفَ عليه دهشة مولي لرؤيته. قال لها: «كنت أجلب شيئاً من سيارتي».

آه! ليته كان يضع حقيبته في صندوق السيارة! أبلغته بجفاء: «كنت أتكلم مع الطفل بيتر، لا مع نفسي».

ندّت عن جون ابتسامة ساخرة، وقال: «حسناً، أفترض أن التكلم مع طفل يبلغ ثلاثة أشهر من العمر له حسناته، فهو على الأقل لن يستطيع الرد عليك!».

على النقيض من هذا الرجل، الذي يبدو أنه يمتلك إجابة جاهزة لكل شيء! نظرت إليه مولي بمرارة، لكنها اعترفت بطريقة فيها الكثير من القسوة: «هذا أمر غير مألوف بين الرجال. أليس كذلك؟».

وقبل أن يفتح الباب لها كي تدخل إلى المطبخ قبله، أجابها: «وبحسب تجربتي، هو غير مألوف بصورة أكبر بين النساء».

الجو السائد داخل المطبخ جعل التلفظ بأي جواب من قبلها يبدو فظاً. كان الدفء ملحوظاً في المطبخ، بحيث تسمع قهقهات كريس أثناء انشغالها بتحضير الفطائر المحلاة، وكذلك قهقهات سام ودافيد أثناء تحضيرهما لطاولة الطعام، بينما انهمك الثلاثة بتبادل الأحاديث أثناء عملهم.

فالكون هاوس هو منزل كبير مؤلف من ثلاث طبقات. وقد أحبت كريس وسام حميمية المنزل، وفضلا أن يقوما بمعظم أعماله بنفسيهما. ومع أن امرأة اعتادت المجيء ثلاث مرات في الأسبوع لتتكفل بالأعمال المنزلية المتعبة

والضرورية، لكن كريس أبقت مسألة الطبخ لنفسها.

وبالرغم من ضخامة المنزل، بدا بيتاً عائلياً مليئاً بالدفء والحياة والضحكات. ولطالما اعتادت مولي الاستمتاع بزياراتها لهذا المنزل كثيراً. اعتادت... آه! لماذا يتواجد جون ويبر لتخريب كل شيء؟

على الرغم من ذلك انتابها شعور بأنها وحدها من تظن ذلك. فسرور دافيد وسام برفقة ذلك الرجل بدا واضحاً، في حين وقفت كريس وجون بالقرب من بعضهما البعض أثناء الانهماك في تحضير الفطائر المحلاة، وبدا أنهما على صداقة متينة.

هل الأمر مجرد صداقة، أم أنه أعمق من ذلك؟ هذا ما تساءلت عنه مولي عندما عزلت نفسها عن الآخرين، وهي ما تزال تحتضن الطفل بيتر وتكتفي بمراقبة الجميع.

من جهة كريس، هي متأكدة من عدم وجود شيء أعمق من الصداقة، فحب كريس لسام كان مطلقاً. لكن مولي لاحظت أن جون بدا مرتاحاً مع كريس أكثر منه مع أي شخص آخر، فالإثنان كانا يتكلمان معاً بنعومة، ولم يخف جون ابتساماته، عندما تتركز نظراته الدافئة على كريس...

إلى أين أخذتها خيالاتها؟ أيعقل أن يكون جون على علاقة سرية مع كريس، وهو الرجل الذي ظنت سابقاً أنه غير قادر على الوقوع في غرام أيّ كان؟

لامت نفسها على الفور على هذه الافتراضات الخيالية. فجون يعرف كريس منذ سنوات طويلة، وهو شقيق زوجها السابق، ومن الطبيعي أن يحمل مشاعر معينة تجاهها، إلا أن امتعاض مولي منه هو الذي جعلها تتصور إمكانية نشوء علاقة من نوع آخر بينهما.

اقترب سام منها بهدوء، ولم تلاحظ مولي وقوفه إلى جانبها إلاّ حين قال بنعومة: «هل أنت على ما يرام؟».

دفعت مولي أفكارها المضطربة جانباً، قبل أن تبتسم وترفع نظرها نحو أخيها غير الشقيق. بالإضافة إلى أن سام هو كاتب سيناريو متميز جداً، فهو مثالي الطول، وسيم وذو بشرة سمراء. أحبته مولي منذ أن عرفت أن أمها

ستتزوج من والده قبل سبعة عشر عاماً. أكّدت له بسعادة: «بالطبع».

ثم أضافت مداعبة: «وكيف لا يكون كل شيء على ما يرام، وأنا أحمل ابن أخي المفضل».

سألها سام بلهجة لاذعة: «وهل من شأن هذا الأمر أن يجعلك مكتئبة؟ أم تراك تفكرين بأحدهم؟».

إنه سؤال صعب! صحيح أنها ليست متورطة في علاقة عاطفية مع أي شخص في هذا الوقت، لكنها بلغت الآن التاسعة والعشرين من العمر، أي عمر كريس نفسه، وإذا ما كانت صادقة مع نفسها ستقول بأنها تحسد صديقتها على زوجها المحب وطفلها الجميل.

ابتسمت قليلاً، وقالت: «لست على علاقة مع أي شخص في الوقت الحاضر».

هزّ كتفيه وقال: «ما رأيك بدافيد وجون؟».

عبّرت مولي عن دهشتها لتغيير مسار الحديث، بعبوس ظهر على ملامح وجهها، وأجابت: «ما رأيي بهما.. بالنسبة لماذا؟».

جاء دور سام ليبتسم ويقول: «حسناً! أعتقد أن كريس تفكر أن عليك اتخاذ أحدهما زوجاً لك وأباً لأولادك في المستقبل».

فغرت مولي فاها بسبب دهشتها، وقالت: «هي.. ماذا؟».

وجمدت في مقعدها، عاجزة عن إخفاء رعبها إزاء الأشياء التي يوحي بها كلام سام.

أسرع سام لإبلاغها: «لا تخبريها أنني قلت أي شيء من هذا».

ثم أضاف بتأثر: «أعتقد أنها لشدة حبها لك، ملأتها الرغبة لانتقاء أحدهما من أجلك. تريد أن يتمتع الجميع بالسعادة التي نشعر بها».

أغمضت مولي عينيها قليلاً، وهي تشعر بالدوار، ثم قالت: «نعم، ولكن...».

مضى أخوها في إغاظتها، فقال: «تؤكد لي كريس أن دافيد وجون يتمتعان بأهلية عالية».

ارتفع صوتها قليلاً عندما أجابته: «لعلهما كذلك.. لكن دافيد ترمّل حديثاً، أما بالنسبة لجون... فالواقع هو أنني لست...».

وما إن بدأت الأطباق بالوصول إلى الطاولة حتى حذّرها بنعومة: «لا تقولي أيّ كلمة من هذا الحديث لكريس يا مولي، فهي لن تكون راضية عني إذا علمَت أنني أخبرتك».

- لكن...

- سأضع بيتر في سريره، وبعد ذلك يمكننا تناول الإفطار جميعاً.

راح يتكلم بطريقة طبيعية أثناء انحنائه ليأخذ بيتر، ويمشي به عبر الغرفة ليضعه في سريره الموجود في زاوية المطبخ.

حدّقت مولي فيه، وقد دُهشت تماماً لمسار حديثهما. ماذا يعني هذا الرجل بقوله إن كريس تقوم باختيار أحد الرجلين كزوج لها؟ فهي لن تبدأ بالعمل مع دافيد حتى نهاية كانون الثاني، كما أنها لن تلتقي بجون وبير مجدداً بعد اليوم. ولهذا، فمتى ستحدث هذه المفاضلة بين الرجلين؟

تملكها شعور أكيد بأنها لن تحب الجواب عن هذا السؤال.

٣ - حِمَمٌ من الماضي!

بعد نصف ساعة سألت كريس بسعادة غامرة: «هل تناولتم ما يكفي من الطعام؟».

لم يخفّ الارتباك الذي شعرت به مولي قبل نصف ساعة من الآن. ومع أنها تعرف تماماً أن كريس هي أكثر سعادة مما كانت عليه في أي وقت مضى، وأن زواجها بسام شغل كل حياتها، لكن بالتأكيد لم يخطر في بالها أن أعز صديقة لها قررت أن الوقت حان كي تجد مثل هذه السعادة هي أيضاً... إلى درجة أنها انتقت رجلين مؤهلين ليتم الاختيار بينهما، ويكون أحدهما زوج المستقبل. ومن بين كل الناس، دافيد سترونغ وجون وبير...!

صحيح أن دافيد هو واحد من ألطف الأشخاص الذين التقتهم على الإطلاق، وهو من النوع الذي يرتاح المرء إلى صحبته، لكنه ما زال يعاني كثيراً بعد الموت المفاجيء لزوجته. وصحيح أيضاً أنها تتطلع قدماً للعمل معه، لكنها تعرف جيداً أنه ليس في مرحلة التفتيش عن امرأة جديدة في حياته، وعلى الأقل، ليس في المستقبل القريب. أما بالنسبة لجون وبير فنقطة الارتياح الوحيدة في الموضوع، عدا عن حبه الواضح لكريس، هي معرفتها بأنه سيثور لفكرة ارتباطه بها.

بعد أن أكّد الجميع لكريس أنهم لا يستطيعون تناول المزيد من الطعام، علّق سام بطريقة جافة: «هناك سبب وجيه وراء رغبة زوجتي بالتأكد من أنكم شبعتم».

ابتسمت كريس وقالت باندفاع: «وسط حماستنا وانهماكنا بالتحضير لحفلة التعميد، لم يتسنَّ لنا الوقت الكافي حتى الآن لوضع زينة عيد الميلاد».

www.elromancia.com

ومضت بشرح الوضع قائلة: «يتعين على سام الرد على بعض المكالمات الهاتفية في مكتبه هذا الصباح، لذلك أعتقد أننا، نحن الأربعة، سنستمتع بوضع هذا الزينة».

سارع دافيد على التأكيد فوراً: «بالطبع، لا مشكلة في ذلك».

بينما رد جون بسلاسة: «من دواعي سروري أن أساعد في ذلك».

ذلك يعني أن الرجلين سيمكثان لوقت إضافي في المنزل. منع الانزعاج مولي من التفوه بأية كلمة، لكن سام حذر الجميع قائلاً بنبرة تهكمية: «لم تعرفوا بعد مكان وجود الزينة».

قهقه دافيد وهز رأسه، ثم نظر باتجاه كريس، وهو يتشدق بإعجاب: «زوجتك قادرة على أن تسحر الطيور في أعشاشها يا سام».

علّق سام بسخرية: «أو على إخراج الزينة الموجودة في العلية؟».

وافق جون على ذلك بنبرة جدية، وقال: «نعم، تستطيع ذلك أيضاً».

هذا الحديث جعل مولي تستشعر أشياء أعمق من الأمور الظاهرة على السطح؛ فعطلة الميلاد هذه لا تسير جيداً، كما تصورت في السابق.

شعر سام كعادته ببعض الاضطراب الذي تشعر به مولي، فالتفت نحوها وسألها: «ماذا بشأنك يا مولي؟».

فسام ومولي هما أقرب إلى بعضهما البعض من الأشقاء الحقيقيين، ثم تابع حديثه معها: «كنت سآخذ بيتر معي هذا الصباح، لكن إذا كنت تفضلين الاهتمام به بدلاً من المساعدة على وضع الزينة...؟».

إنها على أتم استعداد للقيام بأي شيء بدلاً من تمضية الصباح برفقة جون وبير.

لكن، فيما هي تستعد لفتح فمها كي تقبل الحل الذي وضعه أمامها سام، اكتشفت أن جون يركّز نظراته عليها وعلى تحركاتها. سرعان ما تصاعدت الألوان إلى خديها، وعرفت أنه يستمتع باضطرابها الذي يسببه وجوده بقربها. بقي فمها مطبقاً بإصرار، والتمعت عيناها قبل أن تلتفت نحو سام وتقول له: «شكراً لعرضك، لكنك تعرف أنني أحب كثيراً وضع زينة الميلاد».

في الواقع، لم تتسنَّ لمولي الفرصة للقيام بهذا أثناء وجودها في أمريكا. لذلك كانت تتطلع بشوق للمشاركة في وضع الزينة وفي بقية النشاطات الخاصة بعيد الميلاد العائلي هذا. وهي بالتأكيد لن تسمح لوجود جون وبير أن يخرّب مشاركتها هذه.

عبثت يد سام بشعرها قليلاً، مظهراً إعجابه بها وردّ عليها: «وأنا أحبّ ذلك بالتأكيد».

ثم راح سام يخبر الآخرين قائلاً: «كانت مولي تصر، وهي صغيرة، على وضع الزينة في شهر تشرين الثاني، ولا تنزعها إلا في شهر شباط».

تعمّقت الألوان في خدي مولي، لكنها تجنبت بحرص تام النظر ناحية جون هذه المرة. لا بد أن هاتين العينين الزرقاوين تمتلآن بالسخرية الآن! تمهلت قليلاً قبل أن تصحح له: «لست بهذا الإصرار بعد الآن».

إلا أنها اعترفت بكآبة: «لكني ما زلت أحب أعياد الميلاد!».

أكد لها دافيد مشجعاً: «لا خطأ في ذلك».

ثم وافقه جون عندما قال بصوت أجش: «إطلاقاً».

رفعت مولي نظرها إليه بحدة، وتوقعت أن ترى السخرية المعتادة في عينيه. لكنها وجدت أنه ينظر إليها حائراً، ولم تبدُ أفكاره واضحة بالنسبة إليها. عبست مولي وهي تتساءل، ماذا بعد؟

أحنى جون رأسه قليلاً، ثم قال متبجحاً بتحدٍ: «لطالما ظننت أن من يحب عيد الميلاد لا يمكن أن يكون شخصاً سيئاً».

والتقت العينان البنيّتا اللون مع العينين الزرقاوين الداكنتين للحظات طويلة، قبل أن تستطيع مولي الإشاحة ببصرها كي تنظر نحو الثلاثة الآخرين في الغرفة. كانت كريس لا تزال تبتسم بحرارة، بينما كان دافيد وسام منشغلين بنقل ما تبقى من الفطور.

أتراها الشخص الوحيد الذي سمع الإهانة المتعمدة الكامنة وراء كلمات جون؟ ربما يعود السبب في ذلك إلى أن لا أحد كان مدركاً للعدائية التي يكنّها جون لها، كما اعترفت لنفسها.

عادت بنظرها نحوه مجدداً، ورفعت ذقنها تجابه ذلك التحدي، ثم سألته: «ما هي مشاعرك أنت تجاه عيد الميلاد؟».

تحرك فم جون دون مرح وقال: «وماذا تعتقدين؟».

أجابته بصدق: «ليس لدي أدنى فكرة».

لا شك أن محاولة فهم تصرفات جون قد تستغرق العمر كله. وفي الحقيقة، لا رغبة لمولي بأن تضيع ولو دقيقة من وقتها على ذلك الرجل الكريه.

ابتسم جون في وجهها، ثم أبلغها هازئاً: «أنا أحب أعياد الميلاد على الدوام».

لم تكن كلماته هي التي صدمتها، بل ابتسامته الساحرة. هذه الابتسامة التي غيّرت وجهه بالكامل، حتى أصبح صبيانياً وساحراً في الوقت نفسه.

وهاتان صفتان لم تربطهما من قبل إطلاقاً مع جون ويبر المغرور المتغطرس. استطاعت أخيراً أن تعلّق بنبرة سطحية: «حسناً».

انتشر السحر الذي ملأ وجهه فغمر عينيه الزرقاوين الداكنتين، ثم خمّن بنبرة لاذعة: «لم يكن هذا ما تتوقعين سماعه أليس كذلك؟».

إن كانت مولي قد تعلمت شيئاً من هذا الرجل في الأربع والعشرين ساعة المنصرمة، فهو ألاّ تقوم بتوقع تصرفاته، لأنه ذو طبيعة مركبة بحيث يستحيل تخمين ما يمكن أن يقدم عليه أو يقوله. هزّت كتفيها مستنكرة قبل أن ترد: «إن ما أتوقعه أو لا أتوقعه منك ليس بهذه الأهمية، أم أنه كذلك؟».

أكّد لها بقسوة: «ليس بالنسبة إليّ، لا!».

حسناً! هذا ينهي المسألة بالنسبة إليها أليس كذلك؟ هذا ما اعترفت به مولي لنفسها ساخرة. إنه يبادلها الشعور نفسه أليس كذلك؟

التمعت العينان البنيتان بمرح مفاجىء، واستطاعت بسهولة هذه المرة أن تواجه نظرته. قالت بتوبيخ ساخر: «حسناً! أنا مسرورة لأننا تفاهمنا على هذه النقطة، ألست كذلك أنت أيضاً؟».

هل رأت الإعجاب يلتمع في تينك العينين الزرقاوين الداكنتين، أم أن ذلك كان من صنع خيالها فقط؟ لربما. لكن هذا الإعجاب سرعان ما تلاشى

بفعل السخرية المعتادة، ما جعلها تعتقد أن جون لم يكن سعيداً بهذا الشعور.

وماذا الآن؟ وجدت مولي نفسها حائرة للمرة الثانية في غضون دقائق قليلة. وتساءلت لماذا يبدو هذا الرجل كأنه يعرف شيئاً لا تعرفه هي!

وسمعت سام يقول: «أقترح أن نتوجه جميعاً هذا المساء، فنختار شجرة تنوب لتكون شجرة القبة. أعرف مكاناً قريباً من هنا، حيث نستطيع أن نقطع واحدة».

ردّ دافيد بفرح ظاهر: «ممتاز».

وقبل أن يتطلع جون ثانية باتجاه مولي رافعاً حاجبين داكنين ساحرين، قال موافقاً: «ستكون شجرة ميلاد تقليدية حقيقية».

أضاف بعد ذلك بصوت ناعم: «ألست سعيدة لأن كريس وسام وجها الدعوة لنا للبقاء طيلة فترة الأعياد؟».

شعرت مولي باللون يفر من وجهها فور تلقيها صدمة الواقع أخيراً، وكأن زلزالاً هزّ كيانها. اتضح لها أن أياً من الرجلين لن يغادر هذا اليوم، أو حتى في الغد، أو في اليوم الذي يليه، أو الذي يليه أيضاً. فدافيد وجون، بالإضافة إليها أيضاً، مدعوان لتمضية عطلة عيد الميلاد في منزل فالكون مع سام وكريس وبيتر.

لماذا لم تخمّن بنفسها من قبل؟ فهذا الأمر كان أمامها طيلة الوقت... لقد مكث دافيد وجون هنا طيلة الليلة الماضية، ولم يظهر أي من الرجلين على عجلة من أمره للمغادرة هذا الصباح. وبالطبع يرجع ذلك إلى عدم اقتراب موعد مغادرتهما. أما الحقيقة المؤكدة الآن فهي أن الأشخاص الستة الموجودين في هذه الغرفة سيستكينون هنا معاً بدفء وسكينة في الأيام الأربعة التالية على الأقل!

همس صوت ساخر ومألوف قرب أذنها بنعومة: «أما زلت تحبين أعياد الميلاد؟».

التفتت فجأة لتبلغ جون بحقيقة مشاعرها، فاكتشفت أنه يقف على مسافة قريبة جداً منها. كان رأسه يميل نحوها، وعلقت نظرتها أسيرة نظرته، بينما بدا

أن أنفاسها قد توقفت كلياً.

إنه بالفعل أكثر الرجال وسامة وجاذبية، بشعره الأشقر العسلي الذي يغطي جبهته، وعينيه بلونهما الأزرق الداكن. هاتان العينان اللتان لا يسبر غورهما، واللتان تعلوان خدّين عاليين، وأنف أرستقراطي، وفم منحوت بدقة.

سألها هازئاً بنعومة: «على أي لائحة ستكونين حسب اعتقادك، على لائحة «الأشرار» أم على لائحة «الطيبين» في هذه السنة؟».

قد يكون هذا الرجل وسيماً، لكن ما إن يفتح فمه المليء بالسخرية حتى تتلاشى هذه الصورة كلياً، وبسرعة.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أنا...».

ناداهما دافيد بمرح مذكراً إياهما بمرح: «أنتما، تعالا. لدينا زينة علينا إنزالها من العلية».

ابتعدت مولي عن جون وهي تشعر بالارتياح لانضمامها إلى دافيد الذي تبع كريس إلى خارج المطبخ، لكنها أدركت أن نظرة جون تلاحق كل خطوة من خطواتها...

* * *

كانت ما تزال تتمتم بكلمات لنفسها عندما ربطت حزام ثوب الاستحمام في وقت لاحق من ذلك المساء، وقد استحمت قبل أن تخلد إلى النوم.

ذلك لا يعني أن يومها كان سيئاً بالكامل. لقد وضعوا الزينة في مكانها بدون أية صعوبات تذكر، وقاموا بتحضير وجبتهم المسائية، وتناولوها بمرح وسعادة، بينما كانت الأحاديث تجري بحرية في ما بينهم. بعد فراغهم من تناول طعام العشاء تحلقوا حول لعبة المونوبولي، ولم يكن ذلك بالسوء الذي افترضته في البداية... بالرغم من أن جون ربح بسهولة...

لا! ففي ظاهر الأمر بدا اليوم ناجحاً. لكن مولي وحدها أدركت وجود الأشواك وراء كل تعليق وجّهه جون إليها...

بدأ الأمر بملاحظات مناسبة أو غير مناسبة استمرت طيلة النهار، إلى

درجة أن مولي شعرت بالارتياح بعد استئذانها بهدف أخذ حمام قبل التوجه إلى السرير.

تمتمت أثناء اجتيازها الردهة مسرعة باتجاه غرفة نومها: «عسى ألاّ يكون في الجوار الآن».

فآخر شيء ترغب به هو أن يراها جون بثوب الاستحمام. لا شك في أنه سوف يجد بعض الملاحظات الساخرة كي يوجهها إليها إذا ما رآها كذلك.

لكن سرعان ما ندّت عنها صرخة عالية عندما رأت ظل شخص ما أمام نافذتها التي يتسلل منها ضوء القمر الساطع.

استدار جون مبتعداً عن النافذة التي يحدّق من خلالها وهمس: «أنا سعيد لسماع هذا، لكن لماذا أطلقت مثل هذه الصرخة؟».

سألته مولي بشراسة: «ماذا تفعل هنا، في غرفة نومي، بحق السماء؟».

حدقت فيه بغضب عبر الغرفة، وتضاعفت نبضات قلبها، وقد شعرت بارتجاف خفيف في ساقيها بسبب الصدمة التي تلقتها للتو.

أجابها بوقاحة: «بالطبع، كنت أنتظرك. لكن ألا تظنين أن من الأفضل لو تغلقي باب غرفة النوم؟ فليس من المستحسن جذب الانتباه إلينا أكثر مما ينبغي... هذا إن بقيتُ هنا».

ليس من المستحسن...! اعتقدت مولي أن عذابها انتهى لهذا اليوم على الأقل، لكنه كان من الوقاحة بحيث سمح لنفسه بأن يظهر في غرفة نومها هكذا!

لم تحاول أن تغلق الباب خلفها، و سارعت إلى إبلاغه بحزم: «لكنك لن تبقى هنا. وفي الواقع، لا أعرف كيف حصلت على الانطباع بأنه يمكنه المجيء إلى هنا ببساطة...».

هزّ كتفيه وقال بهدوء: «قلتِ سابقاً إن علينا أن نتحدث».

رمقته مولي بنظرة ساخطة. بالفعل، قالت إنه ينبغي عليهما التحدث، وذلك لتصحيح مفهومه في ما يتعلق ببعض الأفكار التي كونها عنها. لكن لا يمكنه اعتبار هذا الوقت مناسباً لذلك، ولا حتى المكان مناسباً لإجراء مثل هذا النقاش. قالت بنفاد صبر: «ليس الآن، وليس في هذا المكان. ألديك فكرة

www.elromancia.com

عما سيظنه الناس لو وجدوك في غرفة نومي؟».

رد جون بنبرة هادئة: «هذا هو السبب الذي دعاني لأقترح عليك إغلاق الباب».

قررت مولي بعد مراجعتها لنفسها ثانية بأن تلك ليست بالفكرة السيئة، لذلك تحركت كي تغلق الباب بهدوء.

ارتفع حاجبا جون عندما استدارت لتحدق به، وسألها بسخرية: «هل كنتِ تفكرين بشخص معين عندما طرحتِ فكرتك؟ آمل ألاّ أكون قد قاطعت موعداً».

فكّرت مولي أن دافيد هو الشخص الآخر الوحيد في هذا المنزل الذي يمكن أن تشمله هذه الملاحظة. لذلك أعطت ملاحظته معنىً سيئاً، واندفعت لتقول مؤنبة: «لا تحكم على الآخرين بحسب مسلكياتك الخاصة».

ضاقت عينا جون، ثم سألها ببرود شديد: «ماذا تعنين بقولك هذا بالضبط؟».

ردت بسخط وسخرية: «آه! هل الأمر يختلف عندما تكون هذه الملاحظة عنك؟».

لم تكن لديها أدنى فكرة عما تعنيه بكلامها هذا. لكن يبدو أنها دقت على وتر حساس..

بدأت بالقول: «أنت...».

لكنها قطعت كلامها فجأة حين سمعت طرقاً على باب غرفة النوم، فتنقلت بنظرتها ما بين الباب المقفل وجون، في الوقت الذي جمدت فيه تعابير وجهها.

- مولي؟

نادها سام بقلق عبر الباب المقفل، وأضاف: «آسف لإزعاجك، لكن كريس تقول إنها سمعتك تصرخين قبل دقائق قليلة!».

حدقت مولي بجون بنظرة ملؤها اللوم والتأنيب، ولم تدرِ ما عليها القيام به. فإذا فتحت الباب ستصبح مضطرة إلى تفسير وجود جون في غرفتها لسام. أما إذا لم تفتح الباب، فسيجد سام الأمر شديد الغرابة.

همس جون بصوت ناعم: «أعتقد أن من الأفضل أن تفتحي الباب وتؤكدي له أننا بخير».

دمدمت مولي بشراسة: «آه! أتعتقد ذلك، حقاً؟ ما كان أي شيء من هذا ليحدث أبداً لو أنك فكّرت جيداً بالعواقب المحتملة لزيارة غرفة نومي في هذا الوقت المتأخر!».

ابتسم دون مرح وقال: «لا سيّما إذا ما اعتقدتِ بأنني أتيت إلى هنا حاملاً فكرة إغوائك في ذهني...».

قاطعته باشمئزاز: «في أحلامك فقط أيها المغرور!

بدا سام قلقاً عندما طرق الباب للمرة الثانية، وقال: «مولي؟».

- لا بأس يا سام.

قالتها مولي بصوت مرتفع قليلاً لكي يستطيع سماعها، ثم تحركت لتفتح الباب. حاولت أن تبقي الباب مفتوحاً قليلاً، على أمل ألاّ يلاحظ وجود جون الواقف وراءها في الغرفة، ثم أكدت له بمرح: «إنني بخير يا سام. أنا... كل ما في الأمر هو أنني رأيت عنكبوتاً».

قال أخوها بنبرة متعاطفة: «وكلنا نعلم كم تحبين العناكب».

بعد ذلك عرض عليها المساعدة على الفور قائلاً: «سأدخل وأخلصك منها».

لكنها لا تريده أن يدخل إلى غرفة النوم وجون موجود فيها، فوقفت خلف الباب تسنده بحزم وقالت: «لا. لا تزعج نفسك يا سام، فأنا... أتعلم...».

تقدم جون من خلف مولي قائلاً: «الواقع يا سام، أنني سمعت مولي تصرخ، وقد تخلصت من العنكبوت ورميتها من النافذة».

أغمضت مولي عينيها قليلاً، وتمنت أن يكون ذلك كله مجرد كابوس عابر. لكنها تعرف أنه ليس كذلك، لأن الاستيقاظ من كابوس مرعب هو أمر ممكن! فتحت عينيها مرة أخرى لترى أن سام يحدق إليها متسائلاً، وقد رفع حاجبين داكنين فوق عينين خضراوين يقظتين.

www.elromancia.com

تطلع سام بنظرته المتسائلة نحو الرجل الآخر وقال: «كان ذلك لطفاً منك يا جون. أعلم جيداً من حوادث جرت في الماضي كم تكره مولي التعاطي مع العناكب بنفسها».

شعرت مولي أن الرجل لا يعرف معنى اللطف أبداً، ووجدت نفسها تسارع إلى القول: «ألا تعرف أن جون مشهور بلطفه؟».

ضاعت سخريتها الواضحة تلك هباء مع جون، لأن وجهه خلا من التعابير، وبدا أنه غير مهتم لأي شيء.

قال سام بخفة: «حسناً! ما دمت متأكدة من أنك بخير».

أكدت مولي له: «إنني بخير».

ابتسم أخوها لكن تلك النظرة المتسائلة التي ارتسمت في عينيه الخضراوين الضاحكتين كانت ما تزال في مكانها، وقال: «سأقول ليلة سعيدة إذاً».

قال جون بنبرة جافة: «مرة أخرى».

ثم أضاف مؤكداً: «سألقي نظرة جديدة للتأكد من عدم وجود عناكب أخرى قبل مغادرتي».

وما إن استدار سام راجعاً باتجاه غرفة النوم حيث تنتظره كريس، حتى وجدت مولي نفسها تبتسم ابتسامة متوترة رغماً عنها. لوحت له مودعة قبل أن تغلق باب غرفة النوم وتصوب نظرها نحو جون.

بدت عيناها البنيتان الداكنتان لامعتين بسبب الغضب، وسرعان ما ثارت في وجهه قائلة بنبرة اتهامية: «انظر ماذا فعلت! فسام لا يصدق أنك موجود في غرفتي بحثاً عن عناكب غير موجودة».

بدا غير مكترث وهو يرفع حاجبين أشقرين، وقال: «ألا يصدّق»؟

تصاعد اللون إلى خديها بعد أن تذكرت حديثها السابق مع سام. ذلك الحديث الذي صممت على عدم الافصاح عن أي شيء من مضمونه لهذا الرجل. قالت بانفعال: «لا!».

هزّ رأسه من دون مبالاة، ثم أضاف ساخراً: «يبدو الأمر مقنعاً تماماً بالنسبة لي، خصوصاً بعد أن تبيّن أنك لا تحبين العناكب فعلاً».

ضاقت عينا مولي بصورة خطرة. فقد دأبت بالفعل على كراهية العناكب طيلة حياتها، بغض النظر عن حجم هذه الأخيرة. وبالطبع، لم يكن لديها تفسير لهذه الكراهية، فكل ما تعرفه هو عدم وجود سبب منطقي عندها للخوف من هذه المخلوقات. وببساطة، هي لا تقبل بوجود واحدة منها معها في الغرفة نفسها.

استطاع جون إبقاء تعابير وجهه محايدة، كما استطاع أن يقول بنعومة: «إذاً، ماذا تتصورين أنه ظنني أفعل في غرفتك؟».

تنفست بصعوبة، لأنها تعرف بالضبط ما هي الأشياء التي يفكر فيها سام في هذه اللحظة. لكنها ردت عليه قائلة: «أنا متأكدة من أنك تستطيع تصور ذلك بنفسك».

رفع جون حاجبين أشقرين داكنين، وردَّ عليها قائلاً: «بالنسبة للآخرين، لم نتعارف إلا البارحة صباحاً، في حفلة التعميد.. فهل اعتدت دعوة الرجال إلى غرفتك في مثل هذا الوقت القصير، بعد التعارف؟».

ذكرته بنبرة اتهامية: «أتسألني أنا؟ ألست أنت من اجتاح غرفة نومي، وليس العكس؟».

راح جون يقول بصورة هادئة: «لم أقم «باجتياح» أي مكان يا مولي. كل ما فعلته هو أنني انتظرتك هنا لتعودي من الحمام».

أجابته مولي فوراً بحدة واشمئزاز: «لا يحق لك حتى التفكير بأنك تستطيع فعل ذلك. يحتمل أنني قلت بأن علينا أن نتحدث، لكني بالتأكيد لست في مزاج يسمح لي بالتحدث إليك حالياً».

مرت برهة من الصمت الثقيل، وأصبحت نظرة جون متسائلة في الوقت الحاضر. أخيراً همس بنعومة: «إذاً في أي مزاج أنت؟».

اتسعت عيناها بشراسة نظراً للمعاني الكامنة خلف كلماته، ورفعت يدها لتصفعه قائلة: «لماذا، أنت أيها المغرور...؟».

تقدم جون وأمسك معصميها بسهولة، قبل أن تلامس يدها أحد خدّيه، وقال: «لا أظن ذلك!».

أحنى رأسه قليلاً، وعندما أصبح قريباً منها تمتم بعبوس :«في الواقع...».

وسرعان ما عانقها منهياً نقاشهما الحاد هذا...

صعقت مولي بعناقه غير المتوقع لدرجة أنها بقيت لثوان طويلة جامدة الحركة تماماً بين ذراعيه. وبعد لحظات، عادت حواسها إلى العمل، إلاّ أن ما منعها من القيام بأيّ رد فعل من جهتها، هو أنها أرادت أن تستجيب له فعلاً. وهذا ما سبّب لها خيبة أمل شديدة. فكل ما تعرفه هو أنها في نقطة ما، على امتداد الساعات الأربع والعشرين الماضية، نقطة لا تستطيع أبداً تحديدها، انجذبت كلياً نحو جون ويبر!

لا يمكن لذلك أن يحدث.. إنه يعذبها.. يسخر منها. فبعد كل شيء، وبالرغم من علاقتها الغرامية السابقة التي انتهت بالفشل، لم تكن لتستمتع بإنزال الأذى بنفسها. وبالتأكيد لم تسمح لنفسها عمداً بالانجذاب إلى هذا الرجل المغرور والمعتد بنفسه. لكن... ولسبب ما، هذا ما حدث بالضبط!

ابتعدت عنه بحدة معترضة على ما يجري. واضطرت إلى بذل قوة كبيرة لفك طوق ذراعيه الذي اشتد حولها فجأة. وقالت: «لا!».

نظر جون إليها بعينيه الزرقاوين، وقال: «لا؟».

حدقت إلى الأعلى باتجاهه، وكررت بحزم: «لا. أعلم جيداً ما الذي تظنه بي جون...».

أنزل يديه على جانبيه، وابتعد ببطء عنها: «أحقاً تعلمين؟».

وأضاف بقسوة: «لسبب ما، أشك في كلامك كثيراً».

تلاقت نظرة مولي بسهولة مع نظرته المشفقة، ثم قالت فجأة: «سوف أكون حمقاء إذا لم أعرف. وأعتقد أنني لست حمقاء، بغض النظر عما إذا كنت تظن العكس! لكنك قررت، ولسبب ما، بأنني أنتمي إلى نوع النساء الخطرات...».

هزّ رأسه باشمئزاز وكرّر بقسوة: «لسبب ما؟».

أضاف بعد ذلك بحدة: «لم أتصورك كذلك في ذلك الصباح عندما كنت في

شقة جايمس، وأنت ترتدين تلك القميص... قميص جايمس».

نظر إليها بازدراء، وأضاف: «هذان سببان وجيهان لاستنتاج شيء ما، ألا تظنين هذا؟».

فتحت مولي فمها، وقد شعرت بحمرة الخجل تغزو خدها، وأجابت: «إذا أخذت الأمور بسطحية، فهذا صحيح. لكن...»

قاطعها جون مؤنباً: «وبأية طريقة أخرى يمكننا فهم هذين الأمرين؟ لا تحاولي أن تقولي لي إنه من قبيل الصدفة أن كريس كانت تقوم بجولة ترويجية لكتاب الطبخ الذي أعدته في ذلك الوقت».

حدقت مولي به للحظات طويلة بدون أن تنبس ببنت شفة، إنه يظن فعلاً... جلست على السرير فجأة، وحدقت بوجهه غير مصدقة. كانت تعرف أن رأيه فيها سيء، لكن...

هزت رأسها المشوش وسألت: «ألم تتكلم أبداً مع جايمس بشأن ما حدث في ذلك الصباح؟ ألم تسأله؟».

قاطعها جون بقسوة قائلاً: «لا! لم أتكلم مع جايمس مطلقاً عن هذا الموضوع».

ثم أنهى كلامه بعبوس قائلاً: «لم أسأله عن أي موضوع، لكني أبلغته أنه أحمق، لأنه خاطر بزواجه من كريس من أجل مغامرة عابرة مع امرأة مثلك».

شعرت مولي بالخدر يتسلل إليها. عجزت عن التفكير، وعن الكلام، وكل ما استطاعت القيام به هو التحديق بجون ويبر باندهاش وعدم تصديق. لم يخطر في بالها مطلقاً...

وعندما لم ترد عليه، تابع جون: «إذاً، حصلت على ما كنت تبحثين عنه. ألم يكن هذا ما أردته عندما اقترحت بأن نتحدث سوية؟ أصبح كل شيء معروفاً، ولا حاجة للتهذيب المصطنع بيننا».

توضحت الأمور أمامها الآن، فهذا الرجل يعتقد أنها كانت على علاقة غرامية مع أخيه جايمس! ابتسم فمه من دون مرح، ثم قال فجأة: «يبدو أن كريس لا تعلم شيئاً بشأنك أنت وجايمس...».

صرخت معترضة: «لا شيء بيني وبين جايمس».

صرخت رغم معرفتها أن اعتراضها سيبدو فاشلاً إن لم تقل أشياء أخرى، على ضوء الدليل الذي يمتلكه هذا الرجل، حتى لو كان اعتراضها صادقاً.

التوت شفته العليا بازدراء، ثم هزّ رأسه باشمئزاز وقال: «ومن الواضح أن جايمس اعتبر أن ما جرى بينك وبينه لم يكن مهماً إلى درجة تدفعه للاعتراف به لكريس عند موته. عليك أن تكوني شاكرة لذلك!».

- لكن...

تابع جون بقسوة: «لكني أعرف، وأنت تعرفين. دعينا إذاً نترك الأمر عند هذا الحد. اتفقنا!».

اتسعت عينا مولي، وبدت غير مصدقة، وقالت: «لا تظن بأني قد..».

قاطعها باشمئزاز قائلاً: «من يعرف ما أنت قادرة عليه؟ أعرف أن كريس هي صديقتك المفضلة، لكن ذلك لم يمنعك من استغلال غيابها عن منزلها الزوجي لتستقري في السرير مع زوجها».

إنه أمر لا يصدق! لكنه يفسر سلوك جون تجاهها. فما يقوله غير دقيق تماماً بالنسبة لما حصل بالفعل منذ أكثر ما يزيد عن الثلاث سنوات.

تابع جون بقسوة: «هناك أمر إيجابي واحد أستطيع التفكير فيه في هذا الوضع».

كررت مولي بانزعاج ظاهر: «هناك أمر إيجابي واحد لكل هذا؟».

أومأ جون برأسه وقال: «آه، نعم».

أغمضت عينيها قليلاً وتابعت: «وهذا الأمر هو...».

التمعت العينان الزرقاوان الداكنتان وهو يقول: «كريس متزوجة الآن من أخيك غير الشقيق. وهو أمر سيتغير بالتأكيد إذا ما شعرت في يوم من الأيام بالحاجة إلى إراحة ضميرك. ستجد كريس صعوبة كبيرة بالبقاء متزوجة من شقيق المرأة التي أقامت علاقة غرامية مع زوجها الأول».

- تمهل لدقيقة فقط...

قال جون بصوت متوتر وهو يهز رأسه مستنكراً: «ضيعتُ كل الوقت الذي

أردت تضييعه هذا المساء».

شعرت مولي بالخدر، وأدركت أنه يعني تضييع الوقت عليها. كان ذلك أسوأ بكثير مما تستطيع تصوّره على الإطلاق. لقد عرفت على الدوام أن هناك سبباً كامناً وراء كراهية جون التامة لها، وخمنت أن ذلك يرجع إلى وجودها في شقة جايمس ذلك الصباح منذ ما يزيد قليلاً عن الثلاث سنوات، لكنها لم تتصور أبداً...

أضاف جون بقسوة: «كوني حذرة يا مولي».

ثم تابع قوله بحزم: «لن أدعك تفعلين أو تقولين شيئاً من شأنه إيذاء كريس. هل هذا مفهوم؟».

بلعت مولي ريقها بصعوبة. ثم أومأت برأسها وقالت: «تماماً».

تساءلت إن كان هذا الرجل منافقاً من الدرجة الأولى. فرغبته في حماية كريس... مهما كانت هذه الحماية في غير محلها بالنسبة إليها... تدل على أكثر من مجرد الإعجاب من جانبه بزوجة سابقة لشقيقه.

لطالما كانت كريس الصديقة المفضلة عند مولي، وهي ما تزال كذلك. ومولي عرفت جايمس قبل وقت قليل من تعريفه بكريس. وكان جايمس أحد أفضل أصدقائها أيضاً. لكن هذا كل ما في الأمر: صديقها.

لم تتوقع أبداً أن يكوّن هذا الرجل رأياً سيئاً بها خلال لقاء قصير. والطريقة الوحيدة لتبرير نفسها هي إعطاءه تفسيراً لما حدث في مرحلة من حياتها تفضل نسيانها، وهو التفسير الذي كان من المستبعد أن يصدقه على أية حال.

قال جون بارتياح: «حسناً، في هذه الحالة لم يعد هناك ما أقوله لك أكثر من هذا، ما عدا...».

احتجت مولي بصوت ضعيف: «من فضلك».

وضعت يداً مرتجفة على أذنها وقد بدأت تهتز من الألم. تأوهت بعد ذلك بصعوبة وقالت: «سمعت ما يكفي من إهاناتك لليلة واحدة».

توقف جون قليلاً قبل أن يتوجه نحو باب غرفة النوم، ثم أكد لها ببساطة: «آه! أنا لا أنوي أن أهينك مرة جديدة يا مولي».

www.elromancia.com

قالت غير مصدقة: «ألن تفعل ذلك؟».

قال بسخرية قبل أن يخرج من الغرفة: «كنت على وشك أن أقول لك إنني كذبت بشأن التعاطي مع العنكبوت. إنها في السقف فوق رأسك تماماً. طابت ليلتك».

لم تره مولي وهو يخرج، لأن نظرة واحدة باتجاه السقف كشفت لها وجود عنكبوت فعلاً... عنكبوت من الحجم الكبير!

قامت عن السرير بسرعة كادت معها تسقط أرضاً، لأنها كانت تنظر بانشداه ملؤه الخوف إلى الحشرة ذات القوائم الطويلة، والجسم الممتلىء.

أيها الحقير! أيها البغيض! أيها السادي!

وبالتأكيد، لم تقصد العنكبوت!

٤ - هدنة مؤقتة

عندما نظرت مولي في الصباح التالي إلى المرآة الموجودة على طاولة التبرج، ورأت صورتها فيها، خطرت في بالها عبارة: «تبدين بشعة جداً».

لم يكن هذا صباحاً عادياً، إنه اليوم الذي يسبق عيد الميلاد. لكن لم يسبق لها أن شعرت بقلّة الحماسة للاحتفال بعيد الميلاد كما هي في هذه اللحظة، ذلك أنها أمضت ليلة دون نوم، وهي تحدّق إلى العنكبوت، وتفكر بالأشياء التي قالها جون في الليلة السابقة.

هو يعتقد حقاً أنها أقامت علاقة غرامية مع أخيه جايمس، من وراء ظهر كريس. لكن، كيف له أن يظن ذلك؟

لم تكن تلك مشاعرها تجاه جايمس. لطالما اعتبرته صديقاً لها، كما أن كريس صديقتها المفضلة، لذا كان من المستحيل أن تخون تلك الصداقة، حتى لو كانت تحب جايمس. ما كانت لتتسلل قط من وراء ظهر كريس لتقيم علاقة معه!

ماذا لو قرر جون في أحد الأيام أن يبلغ كريس عما حدث في ذلك الصباح، عندما وصل إلى الشقة التي كانت كريس تسكنها مع جايمس، ووجد مولي هناك وهي ترتدي إحدى قمصان جايمس؟ هل ستقتنع صديقتها ببراءتها؟

لطالما أكدت لها مولي أن جايمس ليس إلا صديقها. لكن، وفي ضوء تلك الليلة التي أمضتها مولي في شقة الزوجين عندما كانت كريس بعيدة عن المنزل، وهي الليلة نفسها التي عرف جون بشأنها، هل تستطيع كريس تصديق تأكيداتها تلك؟

أكّد لها جون بازدراء أنه لا ينوي أبداً إبلاغ كريس بشأن ما حدث في تلك

www.elromancia.com

الليلة، وأن لا رغبة لديه بإيذائها، أو بالسماح لأحد بذلك، لكن هل سيستمر في نيته هذه إذا تعارض ذلك مع خطته؟

للأسف! إن الاستنتاج الوحيد الذي توصلت إليه مولي خلال تلك الليلة المؤرقة والطويلة، هو أنها ببساطة لا تملك الجواب عن هذا السؤال. وبالرغم من كراهيتها الاقتراب من جون مرة ثانية، فقد وجدت نفسها مضطرة إلى التحدث معه حول هذا الموضوع... لكن ليس قبل أن تفعل شيئاً بشأن مظهرها.

سرعان ما باشرت هذه العملية، فغسلت شعرها وسرّحته حتى بدا لامعاً وناعماً كالحرير في انسداله على كتفيها، ثم وضعت بعض مساحيق التجميل لتخفي شحوبها، والظلال الداكنة تحت عينيها. حتى إنها اختارت ملابسها بعناية، وحرصت على انتقاء بلوزة بلون برتقالي داكن وبنطلون جينز أسود يناسبها. إلا أن هذه الجهود لم تستطع إخفاء مظهرها المتعب، بسبب التفكير المجهد الذي أرّقها طيلة الليلة السابقة.

آه، تباً لهذا الرجل، ولعقله المتشكك! لولاه لكانت الآن تستمتع بعيد ميلاد عائلي دافىء مع كريس وسام والطفل، كما تصورت عندما تلقت دعوتهما.

قال جون ساخراً، ما إن دخلت المطبخ بعد التاسعة بقليل: «كالعادة، أنت آخر من يستيقظ!»

جون هو أول شخص رأته هذا الصباح، لكنه لم يكن وحده، لأن كريس كانت تجلس معه إلى طاولة المطبخ.

بادرتها كريس بابتسامة دافئة، واقتربت منها لتسكب لها بعض القهوة. قالت لها: «سام ودافيد اصطحبا بيتر وميريلين بنزهة صباحية قصيرة. أمضى بيتر الليل ساهراً، ولم يقدر على الاستكانة».

أومأت مولي، وبدأت بارتشاف القهوة الساخنة. كانت نظرتها الكئيبة تستفز جون ليوجه إحدى ملاحظاته اللاذعة إليها، بعد تصريحه الأول الخاطئ. فكلاهما يعرف أن دافيد هو آخر من استيقظ في الصباح السابق.

ظهر القلق على وجه كريس على الفور، وقالت بتعاطف: «قال سام إنك وجدت عنكبوتاً في غرفتك الليلة الماضية».

نظرت مولي ببرودة إلى جون، ثم قالت مؤكدة ببساطة: «كانت هناك واحدة».

راحت تفكر بأن ذلك الشخص الخنزير السادي تركها وحيدة مع تلك الحشرة طيلة الليل. بادلها جون التحديق بثبات وقد خلت تعابير وجهه من أي تعبير.

أومأت كريس بسعادة بالغة، وقالت: «من حسن حظك أن جون خلّصك منها».

بالطبع! الشيء الوحيد الذي فعله جون هو إبلاغ مولي عن حقيقة مشاعره بشأنها، وذلك قبل أن يتركها وحيدة مع العنكبوت المتوحشة!

ردت بدون اكتراث: «أليس ذلك من حسن حظي؟».

تعمدت ألا تنظر إلى جون، لأنها تعبت من مواجهة تأنيبه، حتى لو اقتصر الأمر على مجرد نظرة. التفتت بعد ذلك نحو كريس قائلة: «هل أستطيع استعارة سيارتك للذهاب إلى البلدة هذا الصباح؟ ما زال عليّ أن أتسوق قليلاً».

في وقت ما أثناء ليلتها المؤرقة، خطر ببالها أنها لم تُحضر هدايا لتقدمها في الغد، سواء إلى دافيد أو إلى جون، لأنها لم تكن تعرف بوجودهما في فترة الأعياد في هذا المكان.

هذا لا يعني أنها ترغب بتقديم هدية عيد الميلاد لجون تحديداً، إلا إذا كانت هذه الهدية زجاجة من الزرنيخ القاتل. لكن الأمر سيبدو غريباً فيما لو قدّمت هدايا للجميع، واستثنته عمداً.

لم تجد طريقة أخرى غير شراء هدية له. لكن هذا لا يحمل معنى شخصياً بالنسبة إليها، وهي التي قررت أخيراً بأن ذلك يشبه شراء تذكرة ذهاب من دون عودة إلى القطب الشمالي. لا شك أنه سيشعر بالراحة هناك، فيما الثلج والجليد يحيطان به من كل الجهات.

لكن جون هو من تبرع بالإجابة: «سأذهب بسيارتي إلى البلدة، وهكذا

www.elromancia.com

تستطيعين الذهاب معي».

اتسعت عينا مولي رعباً جراء التفكير بقضاء وقت إضافي مع هذا الرجل، فيما هي تشعر بأنها متعبة وضعيفة. لم تبذل أي جهد لإخفاء مشاعرها هذه عندما نظر إليها والهزء بادٍ في عينيه.

التفتت كريس نحو جون شاكرة مبادرته، لكنها لم تلاحظ ردة فعل مولي على ذلك الاقتراح، ثم قالت له: «يا للفكرة الرائعة! لعلك لا تمانع بشراء جريدة، وإحضار ما سأطلبه من لحوم من عند الجزار، أثناء وجودك في البلدة».

أكّد لها جون بصوت هادىء: «من دواعي سروري».

ابتسمت كريس أثناء وقوفها، وقالت قبل أن تسرع خارجة من الغرفة: «عظيم! سأذهب وأحضر القائمة».

فكّرت مولي في سرّها: آه! نعم، يا للروعة! يبدو أن كريس قد افترضت مسبقاً أنها ستقبل عرض جون ليقلها بسيارته إلى البلدة.

لمَ لا؟ ففي الظروف العادية ذلك أمر بديهي. لكن المشكلة هي في عدم وجود أي شيء عادي في ما يتعلق بالمشاعر الحادة المتبادلة بين جون وبينها.

– تبدين متعبة هذا الصباح.

بدا ذلك تصريحاً، وليس سؤالاً. وهو تصريح غير مرحب به لدى مولي. التفتت مرة أخرى لتحدق بجون، ثم قالت بنبرة لاذعة: «وما هو السبب باعتقادك؟».

ابتسم قليلاً وقال: «أظن أنني أنا المسؤول عن ذلك، حسب ما استنتجه من نبرتك الاتهامية...؟».

التمعت عيناها البنيّتان الداكنتان، وردت: «استنتاجك صحيح، فأنت...».

عادت كريس بسرعة إلى الغرفة حاملة لائحتها، وقالت: «ها هي».

بدا أنها لم تلاحظ التوتر القائم بين جون ومولي. أضافت ببساطة: «ستجد هذه الأغراض في المتجر الواقع في الساحة، وليس في ذلك الموجود عند آخر الشارع».

لم يكن هناك سبب يدعو كريس لملاحظة التوتر، كما فكرت مولي بسخرية. ومثلما أشار جون مسبقاً، كان كل أفراد العائلة يفترضون أنهما التقيا للمرة الأولى في حفلة التعميد.

أكّد جون وهو يهب واقفاً: «أنا متأكد من أننا سنهتدي إلى هذا المتجر».

ثم أضاف بحدة: «أليس كذلك يا مولي».

شعرت مولي بصدمة خفيفة تخترق جسدها لأنه ناداها باسمها الأول، وهي المرة الأولى التي فعل بها ذلك في اليومين الأخيرين. ذلك لا يعني أن نبرته كانت طبيعية أو حارة... إلا أنها بدت غريبة قليلاً عن هذا الرجل بالتحديد.

أكدت بدون اكتراث: «بالطبع، ستتدبر ذلك. سأذهب لأحضر معطفي، وسألتقيك في السيارة».

استدارت لتغادر المطبخ، بدون انتظار أية ردة فعل على ملاحظتها هذه، لأنها شعرت بالحاجة إلى الابتعاد ولو لعدة دقائق، والبقاء لوحدها لتعود وتستجمع شتات نفسها.

بدت سيارته الجاكوار الخضراء مريحة تماماً. اعترفت مولي بهذه الحقيقة بعد دقائق قليلة من جلوسها قرب جون، وهو يقود السيارة على الطريق الطويلة الموصلة إلى الشارع العام. صحيح أن السيارة كانت دافئة ومريحة، لكن صاحبها لم يكن كذلك.

بل لعل السيارة كانت دافئة جداً، ومريحة جداً، بحيث أنها بدأت بإغلاق عينيها. وبدأ رأسها بالانحناء بسبب التعب، وذلك بعد مرور دقائق قليلة من انطلاق السيارة.

كانت تبذل جهداً للبقاء مستيقظة، عندما قال جون ببطء: «أنتِ متعبة حقاً أليس كذلك؟».

ردّت بحدة: «لماذا أدّعي بأنني متعبة إذا لم أكن كذلك فعلاً؟».

ساد صمت تام في السيارة لعدة لحظات، ثم تأوه جون، وقال بحدة: «لربما كنت قاسياً قليلاً معك الليلة الماضية».

التفتت مولي لتوجّه نحوه نظرة متشككة حادة. من المؤكد أنه لن يعتذر عن

الأشياء التي اتهمها بها مساء البارحة.

نظر إليها رافعاً حاجبين أشقرين، بينما حدقت فيه بالمقابل قبل أن يعود ويركّز على الطريق الممتدة أمامه، ثم تشدّق ساخراً: «كنتُ أشير إلى عدم تخليصك من العنكبوت».

آه، نعم! إنها مصيبة في تخمينها، فهو لم يعتذر عن الاتهامات التي وجّهها إليها.

تجاهل جون تماماً اعتذاره السابق، وأضاف بنبرة ملؤها التسلية: «هل أمضيتِ الليلة الماضية بكاملها وأنت تنظرين بخوف إلى العنكبوت؟».

صممت مولي على عدم إعطائه الفرصة ليعرف أن ذلك هو ما فعلته بالضبط. قالت بحدة: «لا تزعج نفسك في التفكير بالأمر».

هزّ كتفيه وقال: «لم أكن لأفكر بذلك، لولا أنك تبدين متعبة جداً هذا الصباح».

فكرت بشعرها الذي غسلته وبكل مساحيق التجميل التي وضعتها، ثم قالت بامتعاض: «أفترض أنك تعني مرعبة».

هزّ كتفيه العريضتين مرة ثانية، وردّ قائلاً: «حسناً..».

شعرت مولي بالألوان تتصاعد إلى خديها بسبب الغضب الذي شعرت به، ثم حملقت فيه وقالت بحرارة: «هل سبق لك أن تلفظت بشيء لطيف؟».

لم يشعر جون بأي ارتباك أو خجل، بل أومأ وقال: «تكراراً، ولكي أعطيك مثالاً على ذلك، البلوزة التي ترتدينها مناسبة تماماً للون بشرتك، على العكس من الثوب الذي ارتديته يوم الأحد».

كانت هذه المجاملة غير متوقعة، حتى إنها تركت مولي غير قادرة على النطق بأية كلمة. تركتها دامعة العين قليلاً أيضاً، كما أدركت بأسف شديد. لا بد أنها متعبة جداً... وفي حالة عصبية أيضاً.

صوّب إليها جون نظرة جديدة، وقد علا العبوس وجهه قليلاً قبل أن يقول: «ألم يكن ذلك شيئاً لطيفاً تلفظت به؟».

ندّت عن مولي آهة من القلب، لأنها أدركت للتو مدى توتر جلستها.

وفكرت أن المشكلة هي أن كلمة «لطيف» تبدو غريبة جداً عندما تخرج من فم هذا الرجل.

قالت أخيراً، معبرة عن قبول المجاملة بصوت ضعيف: «شكراً».

أومأ قائلاً: «على الرحب والسعة».

ثم أضاف بصوت أجش: «عندما نعود سأذهب وأخلّصك من العنكبوت إن أردتِ».

هزّت رأسها متعبة وقالت: «لا حاجة لذلك».

توسعت عيناه وردّ قائلاً: «هل تخلصتِ منها بنفسك؟».

اعترفت بمرارة قائلة: «لا! لكنها لم تتحرك من مكانها فوق السرير طيلة الليل، وهكذا فلا حاجة لإنزالها».

ظهر عبوس ما بين عينيه الداكنتين، وقال بنبرة حادة: «لستُ ذلك الرجل الحقود عادة، لا أتعمد ذلك على الأقل».

ابتسمت مولي قليلاً: «إلا أنك تستمتع بجعلي استثناءً لهذه القاعدة، أليس كذلك؟».

تعمّق العبوس ما بين عينيه: «لا، لا أستمتع. فتحديداً...».

ضحكت مولي ضحكة متعبة مليئة بالمرارة، وقالت: «دعك من ذلك يا جون».

ازداد عبوسه حين أجاب: «أتريدين القول إنك أمضيت الليل بكامله وأنت تراقبين العنكبوت؟».

أومأت بمرارة داخلية وقالت: «نعم، فعلت ذلك حقاً. فبعد كل شيء، لم يكن بإمكاني مناداة سام طلباً للمساعدة، بعد أن أكّدت له بإصرار أنك تخلصتَ منها فعلاً».

زمّ جون فمه وهو يرد عليها لائماً نفسه بشدة: «وأشعر الآن بالأسف الشديد لهذا».

حدّقت فيه مولي متسائلة: «إلى أي درجة من الأسف؟».

قال معترفاً ببطء: «أشعر بالأسف حقاً!».

www.elromancia.com

شعرت مولي بثقة شديدة بالنفس، أكثر مما ظنت هذا الصباح، وعادت لتقول بحزم: «هل تشعر بما يكفي من الأسف ما يجعلك تستمع لروايتي عمّا حدث قبل ثلاث سنوات؟».

رد بقسوة: «لا! أشعر بالذنب لتركي تلك العنكبوت في غرفتك، مع علمي بخوفك من العنكبوتيات. لكن هذا لا يعني أنني سأدعك تقنعينني بأنني لم أرَ ما رأيت ذلك الصباح، بينما أنا متيقن مما رأيته فعلاً».

فكّرت مولي أن هذا الرجل قاس، لا يستسلم، وله قدرة على الحكم على الناس. فكيف يمكنها التعامل بمنطق معه؟

بالطبع لا تستطيع. ذلك هو الجواب الذي توصلت إليه، مع أن ذلك لن يمنعها من المحاولة. تابع جون كلامه بتساؤل قبل أن تتمكن من صياغة رد مناسب عليه: «ومع هذا، فأنا عازم على طلب هدنة حول هذا الموضوع طيلة فترة عيد الميلاد».

ردت بنفاد صبر: «يا لعظمتك!».

زمّ شفتيه بشكل مرعب، ثم قال بقسوة: «في الواقع، هذا هو العرض الوحيد الذي ستحصلين عليه».

وبكلمات أخرى، اقبلي هذا العرض أو ارفضيه كلياً! لكن في ظل هذه الظروف، ونظراً لعدم رغبتها بإفساد عيد الميلاد على الآخرين فيما لو تابع أحدهما الحرب القائمة بينهما، قررت أن تقبل العرض.

تحرك فمها من دون أن تبتسم، وردت قائلة: «هل أفهم بأن هذه «الهدنة» ستنتهي صلاحيتها مع حلول منتصف الليل؟».

جاءت ابتسامته مثل ابتسامتها، فارغة من أي تعبير، لكنه حرّك حاجبيه الأشقرين باتجاهها وهو يقول: «في الواقع، أنوي البقاء حتى صباح الثامن والعشرين. أتعتقدين أنه يمكنك أن تبقي مهذبة طيلة هذه المدة؟».

ردت عليه بشراسة: «لست أنا من كنت قليلة التهذيب!».

هزّ جون كتفين عريضتين وقال: «أنا مستعد لأجرّب حلاً بديلاً».

منعت مولي نفسها من النطق بالرد الغاضب الذي رغبت في قوله، والسبب

في ذلك هو أن هذا الرد الغاضب لم يكن طريقةً مناسبة لبدء الهدنة...

قالت وهي تصرّ بأسنانها: «حسناً!».

التفت نحوها كأنما أراد أن يريها نظرته الساحرة، ثم قال متهكماً: «إذاً، ماذا تنوين إهدائي في عيد الميلاد؟».

اتسعت عينا مولي لدهاء هذا الرجل في تخمين ما تتضمنه «قائمة تسوقها المرتجلة»، ثم هزّت رأسها بمرارة، وردّت عليه: «أفكر بزجاجة من الزرنيخ، لكني أخشى أن يبدو الموضوع مكشوفاً بهذه الطريقة!».

فوجئت مولي لأن جون أطلق ضحكة دلالة على استحسانه. ومرة أخرى غيّرت هذه الضحكة وجهه بالكامل، فأصبح ذا ملامح صبيانية، ما جعل نظراته تبدو دافئة بدلاً من أن تكون جليدية. وهذا الأمر لم يكن مطمئناً، نظراً لما تعرفه مولي عنه...

لكنه قال أخيراً بنوع من التنازل، وهو ما زال يبتسم: «لعله لن يكون كذلك إذا استعملتِ كمية قليلة منه».

جاء ردها بنوع من الاهتمام: «ماذا تريد أن أحضر لك؟».

لم تكن لديها أدنى فكرة عن اهتمامات هذا الرجل أو الأشياء التي يفضلها؛ إنه هنا لوحده، وهذا يدل على أنه غير مرتبط بأي نوع من العلاقات في الوقت الحاضر. ويبدو أنه مستعد لتمضية عيد الميلاد مع أي كان نظراً لوضعه هذا. لكن هذا الوضع يفرض مسألة أي نوع من النساء يفضّله هذا الرجل ويميل إليه؟ لا تعجبه الشابات ذوات الشعر الأحمر، اللواتي تخيفهن العناكب...

لماذا خطرت ببالها هذه الفكرة بحق السماء؟ هذا ما راحت مولي تتساءل عنه بحدة. ما كان عليها أن تسمح لنفسها بالانجذاب إليه من دون أن تتأكد من أنه يشعر بانجذاب موازٍ إليها.

أجاب جون ببطء: «حسناً! لا أحب الشوكولا، ولدي ما يكفيني من مستحضرات ما بعد الحلاقة».

ثم أضاف بنعومة: «أتظنين أن كتاباً سيكون مناسباً كهدية غير شخصية؟».

شعرت مولي بخديها يحمران خجلاً، هل يعقل أن يعرف هذا الرجل كل

شيء؟ ثم وجدت نفسها تقول بتهذيب: «أنا متأكدة من ذلك، لكن، أي نوع من الكتب تفضّل؟».

هزّ جون كتفيه وقال: «هناك كتاب، كنت أنوي شراءه منذ بعض الوقت. وكنت أنتظر أن يصدر بغلافه الورقي».

- أحقاً؟

نطقت مولي بهذه الكلمة بطريقة جافة، وهي تتساءل عما إذا كان حسابها في المصرف يكفي لتغطية كلفة شراء كتاب تردّد هذا الرجل كثيراً بشرائه لنفسه.

نظر جون نحوها بعبوس، ثم قال متهكماً: «لعلك فكرتِ بشيء؟ أعني عدا عن الزرنيخ».

هزّت رأسها قائلة: «لم أفكر بشيء».

تساءلت عما إذا كان شراء تذكرة الذهاب من دون عودة إلى القطب الشمالي ستكون أسهل عليها. لكنها أدركت أنها لم تستقر على الهدية التي ستحضرها لدافيد أيضاً، فقالت بلباقة: «في الحقيقة أرحّب بأية نصيحة مفيدة تستطيع إعطاءها لي في هذا الاتجاه».

وتساءلت عن هدية جون إليها في عيد الميلاد...!

كان جون يعرف تماماً أنه سيبقى في هذه البلدة أثناء عطلة عيد الميلاد، ويعرف أيضاً بقية الضيوف، لذلك كان من المنطقي أن يشتري هدية لكل منهم قبل حضوره إلى يوركشاير. ولأنها تعرف شعوره تجاهها خشيت التفكير بما عساه يهديها.

أومأ جون برأسه وقال: «حسناً، إذاً. سأقول لك إن بيلي كونولي هو أحد الممثلين الهزليين المفضلين عندي، و...».

احتجت مولي بشدة، وتصاعدت الألوان إلى خديها ما إن استوعبت ما يقوله، وقالت: «لا أصدق هذا! أعني... حسناً! بيلي كونولي هو...».

امتنعت عن قول أي شيء تفكر به أو تحاول قوله، لأن التحديق بجون كان مهمة شاقة.

بيلي كونولي؟ ممثلها الهزلي المفضّل، والذي برهن على أنه الممثل الاستثنائي

في السنوات الأخيرة أيضاً. لكن لم يخطر ببالها إطلاقاً أن جون معجب به أيضاً...

تعمّدت مولي إخفاء دهشتها؛ فلو سألها أحدهم عما تمتلكه من قواسم مشتركة مع جون لأقسمت بأن لا شيء يجمعهما على الإطلاق، لكنها أكدت له: «إنه كتاب عظيم».

تعمّدت مولي تغيير موضوع الحديث، على الرغم من دهشتها لاكتشافها بأنها وجون يتشاركان الإحساس بالمرح، فسألته: «ماذا تنصحني أن أشتري لدافيد؟».

أجاب جون وهو يبتسم: «هذا أمر سهل لأننا تناقشنا بموضوع الكتاب الليلة الماضية، وهو لم يقرأه بعد».

لم تستغرب أن دافيد يشاركها حسها بالفكاهة... لكن، ألا يعتبر شراء الهدية نفسها للرجلين أمراً بعيداً عن العلاقة الشخصية؟ حتى إن الأمر قد يبدو وكأنها سعت للحصول على حسم بشرائها الكتابين معاً.

نظر جون نحوها وقال: «أؤكد لك أننا سنسعد جداً بهذه الهدية».

تقبلت مولي الأمر بلباقة، وقررت أن هذه الطريقة البعيدة عن العلاقة الشخصية، هي أفضل ما تستطيع فعله إذا أخذت بعين الاعتبار تحذير سام لها بأن كريس تحاول أن تختار أحد الرجلين لها. أجابت: «لا بأس بالنسبة لي».

٥ - أنت تعذبني!

- ها قد انتهينا.

قال جون ذلك لمولي برضا كبير بعد أن ألقى العنكبوت الكبيرة خارج نافذة نومها. وجدت مولي أن وجوده في غرفتها للمرة الثانية في غضون الأربع والعشرين الماضية، هو أمر غير عادي، ومع ذلك أجابت بارتباك وتقبّل: «شكراً لك».

لم تكن جولتهما في البلدة كما توقعت. فقد ظنت أن جون سينصرف إلى أشغاله فيما تتجول هي وحدها. إلا أن ذلك لم يحدث أبداً... لأن جون بدا سعيداً جداً بالتجول معها. حتى عندما ذهبت إلى المكتبة لشراء الكتابين، انتظرها جون في الخارج، ثم استأنفا جولتهما في الشارع.

لاحظت مولي غياب الاندفاع الجنوني للتسوق الذي ألفته في لندن عن هذه القرية الصغيرة. بدا لها أن الناس يمتلكون الوقت الكافي الذي يسمح لهم بتبادل الأحاديث، حتى لو كان معظمهم مثقلاً بالرزم الملفوفة. وما زاد من روعة المنظر، الأضواء الملونة والنوافذ المزينة التي أضافت الكثير إلى ذلك الجو الهادىء بالدفء والحبور.

بدا من المستحيل ألا يؤخذ المرء بهذا الجمال، عندما يجد نفسه محاطاً بمثل هذا السرور والنوايا الطيبة... حتى جون بدا أكثر استرخاءً، بل أكثر وداً.

اعترفت مولي لنفسها بكآبة بأن ذلك مطمح بعيد المنال بالنسبة إليها. لكن هذا الموقف الليّن من جهته أعطاها أملاً أكيداً بأن عطلة الميلاد لن تكون بالكآبة التي تصورتها في السابق... إلا أن الموقف لم يكن كافياً لإثارة موضوع تلك الليلة التي مرت منذ أكثر من ثلاث سنوات، ولا شك في أن إثارة الموضوع

ستصب الزيت على نار هذه القضية برمتها.

فجأة، علا العبوس وجه مولي وأملت أن يخرج جون سريعاً من غرفة نومها. لكن ما أثار قلقها هو أنهما لم يجدا أحداً في المنزل عند عودتهما، وذلك بعد أن ابتاعا الجريدة، وأحضرا اللحوم المطلوبة.

أخيراً وجهت إليه السؤال قائلة: «باعتقادك، إلى أين ذهب الجميع؟».

هزّ جون كتفه قائلاً: «لعلهم خرجوا لتناول الغداء، لافتراضهم أننا سنفعل بالمثل».

لم تستبعد مولي أن تكون كريس هي التي رتبت هذا الأمر، نظراً لهوايتها الجديدة بإيجاد العرسان لها، واعتقاداً منها بأنهما إذا ما تُرِكَا لوحدهما فستزداد أواصر الصداقة في ما بينهما.

ابتسمت قليلاً وقالت: «لربما. وفي هذه الحالة...».

- مرحباً!

كان ذلك صوت دافيد الذي حيّاهما من الممشى المجاور لغرفة نوم مولي، وتابع قائلاً: «هل تذكران إذا كنتما قد أصبتما بالحصبة في السابق؟».

عبس جون لأنه عجز عن فهم السؤال الموجّه إليه، وردّ قائلاً: «عفواً؟».

بدت مولي متعجبة أيضاً، مع أنها لم تستطع منع تلوّن خديها بسبب وجود جون في غرفتها للمرة الثانية، لكنها أجابت: «عفواً؟».

لم يدخل دافيد إلى الغرفة، لكنه شرح بابتسامة خفيفة: «يبدو أن سبب عدم شعور بيتر بمرحه المعتاد يرجع إلى طفح جلدي في وجهه وصدره. لكنه مع الطبيبة الآن، وهي ستقرر ما إذا ما كان مصاباً بالحصبة أم لا».

ندّت عن مولي أنّه تعاطف، وقالت: «يا إلهي!».

أما جون فتعمّق عبوسه وأجاب: «حصبة..! أليس صغيراً جداً كي يصاب بهذا المرض؟».

فعمره لم يتجاوز الثلاثة أشهر بعد...

أكّد دافيد ببساطة: «هذا ما قالته الطبيبة».

- سأذهب لأرى كريس الآن...

مدّ دافيد يده ليمنعها من الخروج بهذه السرعة من الغرفة، ثم قال محذراً: «لا تذهبي إذا لم تكوني قد أصبت بالحصبة من قبل».

أكّدت له قائلة: «بلى، لقد أُصبت بها».

وأضافت بكآبة ظاهرة: «أصبتُ بكل أمراض الطفولة قبل أن أبلغ السنة الأولى من العمر، حسب ما قالته لي أمي».

تمتم جون بطريقة جافة: «لِمَ لا أستغرب ذلك؟».

التمعت عيناها البنيتان الداكنتان، وصوبت نحوه نظرة تأنيب عبر الغرفة، ثم سألته: «هل سبق لك أن أصبت بالحصبة؟».

أخذ نَفَساً عميقاً مصحوباً بتنهيدة من القلب، ثم اعترف بابتسامة مصطنعة: «لا».

راح دافيد يشرح الأمر لجون الذي رفع حاجبين مندهشين، وقال متعاطفاً: «أوه، إذا كان بيتر يعاني فعلاً من الحصبة، فلا بد من أنه دخل أشد مرحلة لنقل عدواه منذ حفلة العمادة».

لم تستطع مولي منع نفسها من الابتسام. بالطبع، من المريع أن يصاب طفل صغير مثل بيتر بهذه العدوى، لكن فكرة إصابة جون وبير الواثق من نفسه والمغرور بهذا الطفح الجلدي القبيح المنظر، كانت كافية لجعل أي شخص يبتسم.

اقترحت مولي ببساطة: «لربما عليك المغادرة الآن».

كانت فكرة رحيل هذا الرجل كي لا يُفسد مناسبة عيد الميلاد عليها ما تزال في ذهنها. لكن دافيد هو الذي تبرع بالإجابة قائلاً: «أخشى ألا يكون ذلك مسموحاً، لأن الطبيبة صرحت أنه إذا ما ثبت بأن الحالة هي حالة حصبة فعلاً، وإذا ما كنا قد اقتربنا منه خلال الثماني والأربعين ساعة الأخيرة، فعلينا أن نظل معزولين لمدة لا تقل عن الخمسة أيام كي نتأكد من عدم إصابة أحدنا بالعدوى».

خمسة أيام؟ وهي التي توقعت أن تتخلص من جون في غضون يومين فقط! سرعان ما تلاشى عبوس جون ليحل التهكم مكانه، وهذا كان كافياً

بالنسبة إليها لتخفي خيبة أملها على الفور، فسارعت إلى القول بلباقة: «سأذهب وأرى إن كانت هناك أشياء جديدة».

سارعت مولي إلى الابتعاد عن جون وعن نظرته الساخرة الذكية.

بدا بيتر المسكين ساخطاً جداً عندما دخلت مولي بعد ثوانٍ قليلة إلى غرفته. لاحظت أن وجهه قد احمرّ وتبقّع بسبب البكاء. أما وجه كريس فبدا شاحباً وقلقاً مع أنها تحمله بين ذراعيها.

- كيف حاله؟

طرحت مولي السؤال على سام الذي كان شاحب الوجه أيضاً، وهو يقف إلى جانب كريس موجّهاً نظره إلى ابنه الصغير. لكن الطبيبة الشابة هي التي تبرعت بالإجابة: «إنه ما ندعوه بطفح الحليب. إنه مزعج بالنسبة لبيتر، لكنه لا يعاني من حرارة أو من أي عوارض أخرى لحسن الحظ».

أضافت الطبيبة مطمئنة: «هذا العزيز الصغير يشعر بالضيق من كل شيء.. أليس كذلك يا بيتر؟».

لمسته الطبيبة بعد ذلك برفق شديد وتابعت: «إنه عيد الميلاد الأول له أيضاً».

أيقنت مولي بعد أن ألقت نظرة على وجه كريس الشاحب وسام القلقة بأن بيتر هو في حال أفضل من والديه، هذا إذا استثنينا الطفح الجلدي البسيط في وجهه وصدره، والتبقع الذي ظهر على خديه بسبب البكاء.

ابتسمت مولي بوجه الطبيبة الشابة وقالت: «حسناً! هذه أخبار مطمئنة».

بادلتها الطبيبة الابتسامة، وبدا من الواضح أنها ارتاحت لوجود شخص غير الوالدين القلقين كي تتحدث معه فتابعت كلامها: «أنا متأكدة من أن الطفح الجلدي سيزول قريباً جداً، وسيعود بيتر إلى حالته الطبيعية».

أضافت بجدية وهي تستعد للانصراف: «لكن إذا ساوركم القلق عليه خلال عيد الميلاد، فلا تترددوا بالاتصال بي، لأنني الطبيبة المناوبة خلال فترة الأعياد».

رافقت مولي الطبيبة بعد خروجها من غرفة الطفل وأثناء نزولها الدرج

العريض المؤدي إلى المدخل، وقالت متعاطفة معها: «إنني أتعاطف معك».

بدت الطبيبة في منتصف الثلاثينات من العمر، وهي شديدة الجمال ذات عينين زرقاوين. وبدا من غير الإنصاف أن تمضي ليلة الميلاد وحيدة.

خرج دافيد من غرفة الجلوس وقال: «هل كل شيء على ما يرام؟».

عندئذٍ، توجهت مولي إلى المطبخ بينما انشغلت الطبيبة والممثل في حديث ودي، وأخذ دافيد على عاتقه مهمة إيصال الطبيبة إلى سيارتها.

لم يتناول أي منهم طعام الغداء نظراً لمجرى الأمور، وبدا من غير المناسب توجيه السؤال لكريس عما تفكر به بالنسبة لوجبة الطعام. لكن مولي التي ألقت نظرة سريعة على البراد لاحظت وجود وعاء كبير من شوربا الدجاج المحضّر حديثاً، بالإضافة إلى ثلاث قطع من الخبز الفرنسي موجودة على الطاولة.

- أوه!

صرخت ما إن انتهت من تفقد محتويات البراد، لتكتشف بأن جون واقف وراءها. لا بد أن هذا الرجل يتحرك بخفة السنّور.

- اهدأي!

تقدم نحوها ليأخذ الوعاء الثقيل منها قبل أن يسقط من يديها، ثم أضاف: «أين تريدين أن أضعه؟».

استفزها حاجباه الأشقران لتُسمعه جواباً قاسياً، إلا أن مولي أطبقت شفتيها لثوان عدة قبل أن تجيب بلباقة: «ضعه على الطاولة».

وأضافت بكآبة: «أعتقد أن كريس وسام يحتاجان إلى تناول بعض الطعام بعد القلق الذي شعرا به».

أومأ جون وقال: «المعدة المليئة تخفف من وطأة الأمور».

لم تكن مولي متأكدة تماماً من أن وعاءً من الشوربا وبعض الخبز الفرنسي يكفيان لاجتراح المعجزات معها، ويجعلانها ترتاح لتمضية عيد الميلاد هنا مع هذا الرجل.

ابتسم جون وكأنه خمّن أفكارها، ثم قال بسخرية: «حسناً.. عادة لا يكون ذلك صحيحاً».

حملقت في وجهه ثم قالت بحدة: «لمَ لا تعمل شيئاً مفيداً، وتضع الطعام على الطاولة، بدلاً من الوقوف هناك لتعذّبني؟».

نقلت مولي الشوربا إلى طنجرة كبيرة وضعتها فوق الموقد لتسخينها، وانهمكت في هذه الأثناء بتقطيع الخبز إلى قطع أصغر.

لم يتحرك جون من مكانه، حيث كان قريباً جداً منها، الأمر الذي لم يشعرها بالارتياح. لكنه تمتم بصوت أجش: «وهل أقوم أنا بتعذيبك؟».

بلعت مولي ريقها بصعوبة قبل أن ترد: «أنت تعلم أنك تقوم بهذا!».

لكنها أدركت في الوقت نفسه أن صوتها يفتقد للاقناع.

ما هو الشيء الغامض الذي يمتلكه هذا الرجل ويجعلها تحسّ به بهذا الشكل؟

أسرتها نظرته الزرقاء الداكنة، إلى أن قال بصوت ناعم: «قولي لي بأية طريقة أعذبك؟».

أيتساءل بأية طريقة يعذبها؟ بكل طريقة ممكنة. إنه يزعزع ثقتها بنفسها، ويجعل منها حطاماً متناثراً... لم ترغب مولي أبداً بالتفكير بما تشعر به عندما يكون قريباً منها..، فجأة سمعا صوت دافيد الذي دخل إلى المطبخ وهو يقول بارتياح: «من المريح معرفة عدم إصابة بيتر بالحصبة، بعد كل شيء».

نظرت مولي بصمت نحو جون للحظات طويلة، وهي عاجزة تماماً عن الإفلات من أسر نظرته الساحرة. وشعرت بشحوب خديها مع مرور الثواني، وبأنها عاجزة عن التنفس جيداً لأنه استمر في النظر إليها.

ما إن حدّق دافيد بالطعام الساخن حتى تمتم بارتياح: «آه...! من الجيد أن نتناول الغداء أخيراً؟».

لم تستطع مولي تحويل نظرها عن جون إلا بصعوبة، وذلك لكي تبتسم للرجل الآخر. وبعد أن استطاعت الإفلات من نظرة جون الآسرة قالت بارتياح: «لعل أحدكما يتكرم بالذهاب لإبلاغ كريس وسام بأن الغداء سيصبح جاهزاً بعد وقت قليل».

أضافت بصوت يحمل بعض الحزن: «أعلم أن بيتر ليس بخير تماماً، لكن

عليهما تناول الطعام مع ذلك».

تبرع جون بهذه المهمة، وقال: «أنا سأذهب. أستطيع البقاء في الطابق العلوي مع بيتر أثناء نزولهما ليتناولا الطعام. هذا إذا لم يستطيعا تركه وحيداً».

نظرت مولي إليه وتمتمت ببطء: «هذا لطف منك».

وقبل أن يهم بالخروج من الغرفة، توقف في الممشى وأكدّ لها: «أستطيع أن أكون لطيفاً عندما أريد».

ابتسمت مولي قليلاً معبرة عن خيبة أملها، مدركة أنها تفوهت بكلام غير مناسب مرة أخرى. لكن في الظروف الراهنة، كان من الصعب عليها أن تتفوه بالكلمات المناسبة في ما يتعلق بجون.

- أهو شجار المحبين؟

التفتت على الفور لتعبس بوجه دافيد الذي كان واقفاً يراقبها، ولاحظت الابتسامة المتهكمة التي تسببت بتقوس شفتيه.

هزّ كتفيه عندما لاحظ استياءها الواضح. وقال مفسراً موقفه: «قال سام شيئاً هذا الصباح حول حضور جون لنجدتك الليلة الماضية، وتخليصك من عنكبوت كانت في غرفة نومك. بعد ذلك توجهتما سوياً لتسوقا، ثم... وجوده قبل دقائق قليلة في غرفة نومك».

واتسعت ابتسامته عندما لاحظ الانزعاج الذي ظهر على وجهها، وقال: «كيف لي أن أفسر الأمر بطريقة أخرى؟».

ردت فوراً والتأثر بادٍ في حدة صوتها: «فسّره بغير الطريقة التي تفسره بها».

تساءل دافيد: «أحقاً؟».

- بالطبع. فكل ما رأيته ما هو إلا فكرة سخيفة من أفكار كريس، فهو ليس إلا محاولة فاشلة منها للتقريب بيننا، وأنت... أنت مرشح رئيسي آخر أيضاً.

جمد دافيد في مكانه وقال مأخوذاً: «أنا؟ لكن اعتقدت أن جون.. إذاً، من التي اختارتها لي كريس؟».

- أنا. لقد اختارتكما أنت وجون ليكون أحدكما عريساً لي.

ابتسم دافيد وقال: «شكراً لك!».

ضحكت مولي وهي تدرك مدى التشوش الذي سببته له، وقالت: «على الرحب والسعة».

عبس وهو يردّ قائلاً: «وأنا الذي ظنت أن كرم كريس هو الذي دفعها إلى دعوتي للبقاء في فترة عيد الميلاد!».

أكّدت له مولي على الفور: «آه! بالطبع هي كريمة. إنها من ألطف الناس على الإطلاق».

رجع جون إلى المطبخ وتركزت نظرته الداكنة المتسائلة على مولي، ثم قال: «أنا مسرور لأننا متفقون على هذه النقطة على الأقل».

تشابكت نظراتهما لثوان طويلة قبل أن تنظر بعيداً عنه، وأدركت بالضبط ما تعنيه نظرته الاتهامية وما يفكر فيه. لكن كان من المستحيل بالنسبة لها أن تدافع عن نفسها إزاء هذا التحيّز. ومع وجود دافيد في الغرفة لم تجد لديها الرغبة حتى بمجرد المحاولة.

سألته بنبرة لا مبالية: «هل سينزلان للانضمام إلينا؟».

أكّد جون: «سام سينزل، أما كريس فستتناول شيئاً في ما بعد، لأنها ستبقى في غرفتها لتنام قليلاً إلى جانب بيتر. أعتقد أنها تحتاج الآن إلى النوم أكثر من حاجتها إلى الطعام، بعد الليلة المؤرقة التي قضتها، وبعد معرفتها بعدم وجود مرض خطير عند بيتر».

أومأت وقالت: «سأذهب إليها بعد قليل، لتتمكن هي من النزول وتناول بعض الطعام».

نظر جون باتجاهها لثوان عديدة، لكنه تمتم أخيراً بطريقة جافة: «هذا لطف كبير منك».

بدأت مولي بسكب الشوربا في أربعة أطباق، ثم قالت ببساطة: «طالما قالت لي أمي إن اللطف هو نوع من الفضيلة».

وسرعان ما جاء رد جون بنبرة قاسية: «وكذلك هو الإخلاص».

جمدت مولي في مكانها، لأنها تعرف سبب توجيهه هذه الملاحظة. إلاّ أنها ركزت نظرتها الداكنة المتحدية عليه، وقالت بتوتر: «وكذلك هو الصدق».

لفت دافيد أنظارهما إلى أنه ما زال موجوداً في الغرفة، حين تدخل ليقول بطريقة جافة: «هاي، أيستطيع أحد ما الانضمام إلى هذا الحديث، أم أن الأمر خاص في ما بينكما؟».

وجهت مولي ابتسامة ساخرة باتجاه دافيد، وأدركت في قرارة نفسها أنهما كادا ينسيان مؤقتاً وجوده في خضّم المشاعر العدائية التي يظهرانها تجاه بعضهما البعض.

التفتت لتبتسم بوجه سام فور دخوله إلى الغرفة، ثم أعلنت بحزم: «الغداء جاهز. هل هما بخير؟».

ابتسم سام ثم أومأ قائلاً: «إنهما بخير».

ثم تمتم بتوتر: «لكن هذا هو آخر شيء نحتاجه ليضاف إلى... حسناً! كنا بالتأكيد نستطيع الاستمرار من دون ذلك الآن».

عبست مولي بوجهه، آملة ألاّ يكون سوء التفاهم بينها وبين جون قد أصبح مشكلة للآخرين، وسألته: «ليضاف إلى ماذا...؟».

أجاب سام وهو يحاول استبعاد الموضوع: «لا شيء».

ثم جلس ليتناول طبق الشوربا بشهية، وتمتم: «عليكم نسيان ما قلته للتو».

تدخل دافيد بجدية بعد أن لاحظ نظراتهما المتسائلة وقال مصححاً: «لكن ديانا... الطبيبة شيشو أخبرتني إنها لا تتوقع أية تعقيدات أخرى مع بيتر».

أومأ سام موافقاً: «أنا متأكد بأنه لن يكون هناك أية تعقيدات، لكني قلق بشأن كريس فقط».

ثم هزّ كتفيه وسارع إلى القول: «إنها تتطلع إلى ذكرى زواجنا، وإلى عيد الميلاد على أنهما فرصة ثانية لها، وأنا لا أرغب أن يفسد عليها أي شيء هذه الفرصة، ولا أعتقد بأن هذا سيحصل».

نظرت مولي نحو أخيها غير الشقيق بانشداه، ثم قالت: «ما الذي قد يفسد الأمر عليكما؟».

كان جون هو الذي علّق بصعوبة: «ماذا يمكن أن يحصل بالضبط؟».

لم ترفع مولي نظرها عن طبق الشوربا، لكنها مع ذلك استطاعت

الإحساس بنظرة جون المراقبة، وسببها أيضاً.

وهكذا، فإن جولة التسوّق التي جرت هذا الصباح، والتخلص من العنكبوت في غرفة نومها بعد ذلك، لم تكن سوى مجرد تأجيل مؤقت. لكن من المؤكد أن جون لا يثق بها كلياً بكل ما يتعلق بكريس.

www.elromancia.com

٦ - أين السلام!

بعد الغداء بوقت قصير قال دافيد: «سأتوجه إلى المدينة لأحضر بعض الأغراض التي نسيت كريس إحضارها. أيرغب أحدكما بالمجيء معي في هذه النزهة؟».

كان سام قد صعد إلى الطابق العلوي ليجلس مع كريس ويبتر، وأخذ معه بعض الشوربا والخبز، وضعهما على صينية لزوجته. وهذا ما ترك مولي من دون عمل لهذا المساء، عدا القيام بتغليف هاتين الهديتين لعيد الميلاد... ومن المؤكد أن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً...

- اذهبي أنتِ يا مولي.

دعاها إلى الذهاب من دون أن يحوّل نظره عن الجريدة التي يقرأها وهو جالس إلى طاولة المطبخ. ثم تابع كلامه: «سأبقى هنا، فلعل سام وكريس بحاجة إلى شيء ما».

تورد خداها غضباً، إذ بدا من كلامه أنها تحتاج إلى إذن منه لتقوم بأي شيء. أو أنه يريد أن يشعرها بالذنب لأنها شعرت بالحاجة إلى الخروج والتنزه بعيداً عنه، ولو لفترة وجيزة.

- ماذا يجري...؟

بدأ جون بالقول قبل أن تتمكن مولي من التفكير بجواب مناسب على تهكمه، وأعاد انتباهه فجأة إلى الجريدة التي كان بالكاد يتطلع فيها من قبل.

عبست مولي بوجهه وبالقلق بادٍ عليها وسألته: «ما الأمر؟».

- أوه. أوه...!

تمتم دافيد باهتمام، بعد أن نظر من فوق كتفي جون إلى الجريدة، وتابع قائلاً: «إنها صورة جيدة لنا، لكن...».

وقف جون وتمسك جيداً بالجريدة ثم دمدم بغضب: «بالضبط... لكن!».

بعد ذلك عبس بشدة وتابع: «لا أعتقد أن سام أو كريس سيحبان هذه الصورة».

كررت مولي بإلحاح بعد أن تحركت لتلقي نظرة على الصحيفة بنفسها: «ما الأمر؟».

أما الذي رأته في الجريدة فجعلها تمسك أنفاسها في حنجرتها.

كان احتفال التعميد الذي جرى يوم الأحد مناسبة عائلية خاصة تماماً بحضور الأصدقاء، لكن الصورة المنشورة في هذه الجريدة دلت أن صحفياً واحداً على الأقل قد عرف بشأنها. ويبدو أن هذا الصحفي اختبأ في مكان ما والتقط صورة تضمهم جميعاً بينما كانوا يغادرون الكنيسة، حيث وقف الوالدان الفخوران بين جون ودافيد ومولي، وظهرت أسماءهم تحت الصورة...

أدركت مولي أن سام سوف يكره هذه الصورة عندما يراها، ففغرت فاها لتعبّر عن استيائها، وقالت: «أوه، لا!».

فقبل اثني عشر عاماً، استحالت حياته جحيماً بسبب خطيبته السابقة التي لفقت عنه الأكاذيب، وأوصلتها إلى الصحافة. ما جعله يختار الاختباء هنا، بعيداً، في مجاهل يوركشاير. ومع أن زواجه بكريس ساهم بتلطيف وضعه، لكنه، بالطبع، لن يُسعد برؤية صورته منشورة في الصحف، ولا حتى صورة ابنه المولود حديثاً...

تمتم جون بعبوس: «اللعنة! لِمَ لا يدعونه وشأنه بحق السماء؟».

هز دافيد كتفيه باستسلام، وقال: «لأنهم يعتبرون الأمر مجرد خبر صحفي. لقد مررت بالمشكلة نفسها عندما... توفيت كاتي منذ ستة أشهر».

ثم هزّ رأسه، وتابع قائلاً: «عندما يحصلون على الخبر، فإنهم يسارعون إلى نشره، سواء كان جيداً أو سيئاً».

علّقت مولي بنبرة متثاقلة: «إنه أمر سيء بالتأكيد، وخصوصاً في هذا الوقت، لأن كريس وسام مشغولان تماماً وقلقان بشأن بيتر».

عبست كريس وتابعت كلامها: «من الأفضل أن تتخلص من تلك الجريدة يا جون».

وبعد أن نصحته بذلك والقلق بادٍ على محياها، قالت: «أبلغ كريس أننا لم نجد الجريدة التي طلبتها. هذا، إذا سألتك عنها».

أكد لها جون بنبرة جدية: «لا تقلقي، هذا ما أنوي فعله».

ثم وضع الجريدة على الطاولة باستياء تام، وقال: «أنوي أيضاً العثور على من أعطاهم هذا الخبر في المقام الأول».

كررت مولي بعبوس: «من أعطاهم هذا الخبر؟ هل تقول إن شخصاً ما أعطاهم هذا الخبر عن حفلة التعميد؟».

رد باستياء: «حسناً! لا بد أن شخصاً ما أخبرهم. فبعد خمس سنوات من كتمان سام مكان تواجده، أتت هذه الجريدة لتذكر مكان إقامته الفعلي».

هزّت رأسها حائرة وقالت: «لكن، من يستطيع القيام بمثل هذا العمل؟».

قال جون ببرودة: «نعم... من هو الشخص الذي بإمكانه القيام بمثل هذا العمل؟».

رفعت مولي رأسها فجأة، لتجد نفسها أسيرة نظرته الحزينة الداكنة. بالتأكيد لن يجرؤ على الظن بها.. وبالتأكيد لن يصدق بأن لها أدنى علاقة بهذا الجنون!

قال جون بنبرة باردة: «إن مسلسل «بايلي» الجديد، والأشخاص الذين يمثلون فيه، مذكورون عدة مرات في المقالة المرفقة بالصورة».

هل هذا نوع من الاتهام؟

بالطبع لا يعرف جون أي شيء عن التمزق الذي حدث في حياتها وحياة والديها قبل اثني عشر عاماً بسبب حقد خطيبة سام السابقة. وبسبب ملاحقة الصحافة المستمرة لهم، اضطر والداها إلى الانتقال من منزلهم، وكان لزاماً على مولي أن تغيّر مدرستها في محاولة لعزلها عن الشائعات المؤذية. وفي المدرسة الجديدة التقت بكريس وأصبحت وإياها على صداقة حميمة..

لكن هذا الأمر بالذات شكّل المشكلة الحقيقية لجون، أليس كذلك؟

آه كريس... ! يبدو أن جون لا يهتم سوى بحمايتها..

- أعتقد أنني سآتي معك في تلك النزهة يا دافيد.

قالت ذلك بتحفظ شديد متعمدة إبعاد نظرتها عن جون، لكنها أحست أنه ما زال ينظر إليها. عليها الابتعاد عن هذا المكان، وإلاّ فستضطر إلى ضربه هذه المرة!

عبّر دافيد عن ارتياحه لهذه الترتيبات، وابتسم قائلاً: «عظيم، فعندها لن أقلق كثيراً بشأن الجريدة. إنه عيد الميلاد، وبعد انتهاء العطلة سينسى الجميع أمرها».

إلاّ أن مولي لم تكن واثقة من ذلك، واستطاعت أن تلاحظ من تعابير وجه جون الجدية أنه لم يكن مقتنعاً أيضاً. لكن بما أن يوم غدٍ هو عيد الميلاد، لم يكن بوسعهم عمل أي شيء في الوقت الحاضر.

أومأ جون فجأة وقال: «آمل ذلك بالتأكيد».

قال دافيد بخفة: «وهل أنت جاهزة يا مولي؟».

بالطبع. فهي مستعدة تماماً لتنسحب من رفقة جون البغيضة على قلبها، إلى درجة أنها لم تكلف نفسها عناء توديعه عندما تبعت دافيد إلى خارج البيت.

بدا كأنه متأكد من أنها المذنبة في كل ما حصل.

نصحها دافيد بعد مرور دقائق قليلة من ركوبهما السيارة: «خففي عنك وابتهجي، قد لا يحدث أي شيء!».

ردت بكآبة: «ماحدث قد حدث فعلاً. لا بد أنك لاحظت بأن جون يعتقد أنني أنا من أخبر الصحافة عن حفلة التعميد؟».

أكد لها دافيد وقد علت وجهه شبه ابتسامة: «هو لا يعتقد ذلك حقاً. إنه يبتعد عنك لأنه يحبك».

دمدمت مولي: «من المؤكد أنك تمزح!».

اعترف دافيد ببطء: «أنا لا أقول إنه سعيد لهذا الأمر، لكنه يحبك».

أومأ مؤكداً قبل أن يتابع كلامه: «وإذا ما شعر ببعض الغيرة لأنك خرجت معي هذا المساء، فذلك ليس بالأمر السيء!».

شبكت مولي يديها بشدة في حضنها، وقاطعته قائلة: «هل ستتوقف عن

ذلك؟ هذا الرجل كريه جداً».

قالت ذلك بحزم بعد أن تذكرت اتهامه لها قبل وقت قليل. وعلى الرغم من أنها لا تستطيع نفي الارتعاش التام الذي يصيبها عندما يكون قريباً منها، لكن ذلك لا يعني أنها تحب هذا الرجل بسبب تأثيره عليها.

قال دافيد ببطء: «أنا معجب به شخصياً، ومن الواضح أنه يهتم لأمر كريس».

- ولعله مغرم بها.

قالت مولي ذلك قبل أن تتمكن من كبح جماح كلماتها، لكنها شعرت بندم شديد على الفور نظراً لتكلّمها بهذه الوقاحة. إنها تحب دافيد الذي ستعمل معه في الأشهر القادمة، لكن ذلك ليس سبباً كافياً للتعبير عن شكوكها الداخلية في ما يتعلق بمشاعر جون تجاه كريس.

أحسّت بسخونة خديها بسبب الخجل الذي شعرت به فتابعت قائلة: «ما أعنيه هو...».

اقترب دافيد منها قليلاً، ولمس ذراعها، ثم قال متأملاً: «انسي الأمر يا مولي، كانت تلك فرضية مثيرة للاهتمام. أنا مدين لك بهذا!».

وتابع قائلاً: «لكن لو كنت مكانك، لما تمسكت بهذه الفرضية».

اعترفت ببساطة: «أنت على حق».

وأدركت أن عليها أن تكون أكثر حرصاً، فلا تقوم بإطلاق تعليقات متهورة حول جون، أو حول أي شخص آخر.

رمقها دافيد بنظرة دافئة وقال: «إنني أعني كلامي يا مولي. حاولي أن تفكري بالأمر من وجهة نظر جون...».

ابتسمت وردت: «وهل يتحتم عليّ ذلك؟».

ضحك بنعومة، وهزّ رأسه علامة تأنيب لطيف، ثم قال: «جون هو القريب الوحيد الذي بقي لكريس. إنها قريبته يا مولي».

أصرّ على كلامه على الرغم من تشكيكها، وتابع قائلاً: «توفي والده منذ عدة سنوات، ثم تزوجت كريس من شقيقه الأصغر، والآن توفي ذلك الشقيق. وكريس هي كل ما تبقى لجون من الأقارب».

هزّ كتفيه قبل أن يتابع قائلاً بصوت أجش: «هذه هي رؤيتي للأمور على الأقل، فأنا مقرّب جداً من والدي كاتي».

حسناً! إنها وجهة نظر. لكن مولي لم تقتنع بأنها الطريقة الصحيحة للنظر إلى الأمور في ما يتعلق بمشاعر جون تجاه كريس...

* * *

- قبل أن تبدأ من جديد. أنا لم أخبر أي صحفي بشأن حفل التعميد نهار الأحد.

هذا ما قالته مولي لجون دفاعاً عن نفسها، عندما التفتت لتجده واقفاً خلفها وقد بدا متجهم الوجه. كانت في تلك اللحظات مشغولة بتحضير وجبة العشاء، فيما كانت كريس في الطابق العلوي مع بيتر.

ضاقت عيناه، وبدأ بالكلام: «أنا..».

قطع كلامه فور سماعه صوت جرس الهاتف المعلق في المطبخ، ثم قال ببطء: «ردي على الهاتف لو سمحت».

نظرت مولي إليه ثم إلى يديها المبللتين، حيث كانت تقشر بعض حبات البطاطا، ثم عادت بنظرها إلى جون، وقالت بانزعاج: «لعلك لم تلاحظ أنني مشغولة قليلاً في هذا الوقت!».

وفي واقع الأمر، شعرت بالسرور لأنها وجدت شيئاً تنشغل به. لم تكن لديها أدنى رغبة في أن تكون مقيدة بجون. استمر الهاتف بالرنين وكاد يتسبب بإثارة أعصابها.

أخذ جون نفساً حاداً، ثم اقترح بحزم: «وإذا قلت من فضلك...؟».

أغمضت مولي عينيها قليلاً، لأن لطفه سيكون شيئاً جديداً بالنسبة إليها، واندفعت بعد ذلك لتبتعد عنه في حين لم يبذل هو أي مجهود ليفعل الشيء نفسه. قالت: «حسناً!».

التهبت عيناه بتلك النظرة العميقة، قبل أن يقول وهو يصرّ بأسنانه: «من فضلك».

- يا لك من نزق! يا لك من نزق!

قالت مولي ذلك بينما تحركت لتجفيف يديها قبل إمساكها بسماعة الهاتف

www.elromancia.com

ثم قالت بخفة: «نعم؟».

قوبل سؤالها بالصمت. لم يكن ذلك الصمت الذي يلي انتهاء المكالمة، بل الصمت الذي يدل على أن الخط ما زال مفتوحاً. عادت لتقول بإصرار: «مرحباً. هل من أحد على الخط؟».

جاء صوتها أكثر حدة هذه المرة، لأنها واثقة من وجود شخص ما على الجانب الآخر من الخط، إذ كادت تسمع أصوات أنفاسه. إلاّ أن ما تلقته إجابة عن سؤالها في المرة الثانية، كان قرقعة خفيفة على الخط تبعتها نغمة الهاتف المعتادة.

وضعت مولي سماعة الهاتف ببطء قبل أن تلتفت بحدة نحو جون. ثم قالت وهي مصرة على معرفة ما يجري: «ماذا يحدث؟».

هزّ كتفيه على الفور وقال: «لا فكرة لدي، لكنها المكالمة الثالثة من هذا النوع بعد مغادرتك أنت ودافيد هذا المساء. أردت أن تجيبي أنت لأرى إذا ما كنت ستتلقين الرد الذي تلقيته أنا عندما أجبت على المكالمتين السابقتين».

قالت مولي ببطء: «أتعني إقفال الخط؟».

أكد لها جون بجدية، وهو يضع يديه في جَيْبَيْ بنطلونه: «بالضبط».

ثم أضاف عابساً: «من الواضح بأن المكالمة ليست لك أيضاً».

هزّت مولي رأسها وردت: «ربما طلب أحدهم الرقم خطأً».

قال جون متشككاً: «ثلاث مرات في هذا العدد القليل من الساعات؟».

هزّت كتفيها لأنها تريد الانتهاء من هذه المسألة. إذ كان اهتمامها بإعداد طعام العشاء أكثر من اهتمامها بهذه المكالمات المقطوعة. قالت: «قد يكون الأمر كذلك».

رد جون على الفور: «لا تكوني سخيفة يا مولي!».

اتسعت عيناها بكبرياء، ثم كررت ما قاله: «أنا سخيفة؟».

تحدته بقسوة متابعة قولها: «كلما حدث أمر هنا، تسارع إلى الافتراض أنه يتعلق بي بطريقة ما، ولا شك في أنك تعتقد بأنني مسؤولة عن هذه المكالمات أيضاً».

ردَّ عيها بشراسة: «بالكاد، لأنك تقفين هنا بقربي».

عادت تهز رأسها باستياء وهي تقول: «أعتقد أن هذا الأمر لصالحي».

أخذ جون نفساً قوياً ثم قال: «اسمعي، أنا آسف إن كنت مخطئاً من قبل في ما يتعلق بالمقالة المنشورة في الجريدة».

التمعت عينا مولي من الشك وقالت: «أحقاً أنت آسف؟».

أطبق فكيه بشدة، والتمعت عيناه الزرقاوان في وجهه الشاحب المشدود، وقال بصوت يشبه الصفير: «نعم».

عبست مولي بعد أن خطرت ببالها فكرة مفاجئة، وأضافت ببطء: «أتعتقد أن صحفياً آخر هو الذي أجرى هذه المكالمات، أم لعله الصحفي ذاته؟».

قال جون ببطء: «من يدري؟ أتساءل ما الذي يدفعهم إلى قطع مكالماتهم بتلك الطريقة».

هزّت مولي كتفيها وردت: «ربما لأن كريس وسام لا يجيبان عن هذه المكالمات».

لم يبد جون مقتنعاً كثيراً بهذه النظرية فقال: «لكن، كيف يعرفون ذلك؟».

في واقع الأمر، لم تكن مولي متأكدة من نظريتها هذه، لكنها لم تستطع التفكير بأي تفسير آخر، إلاّ إذا كانت هذه المكالمات خاطئة حقاً..

أضاف بقسوة: «بالمناسبة، تخلصت من الجريدة».

ردت مولي بتهكم مماثل: «لم يكن لدي أدنى شك في ذلك».

- مولي..

قاطعته بحزم: «لعلك لم تلاحظ يا جون أنني أحاول تحضير طعام العشاء للجميع».

ثم أشارت إلى قطع البطاطا التي قشّرتها، والبطة الجاثمة على الصينية بانتظار وضعها في الفرن.

عبس جون للحظات قليلة قبل أن يتحول انتباهه إلى الطعام. وعندما عاد بعينيه الزرقاوين الداكنتين نحوها ظهر فيهما بريق ينم عن التسلية، كما بدا ذلك في نبرة صوته عندما قال: «هل تعرفين حقاً كيف تطبخين؟».

ذكّرت مولي نفسها بحزم بأن عيد الميلاد هو مناسبة للسلام والنوايا الطيبة، فأخذت نفساً عميقاً، وردت عليه بثقة أكيدة بالنفس: «أكثر مما تعرف أنت

على وجه التأكيد».

وبدلاً من رمي هذه البطة على رأس الرجل المغرور، فكرت أن من الأفضل أن تطبخها جيداً، ليستمتع بها الجميع. أخيراً اعترف بإماءة من رأسه، وقال: «أنا متأكد من ذلك أيضاً».

ثم تابع بمرح: «الشيء الوحيد الذي أعرفه عن الطبخ هو أن على المرء أن يزوّد الطبّاخ بما يحتاجه من أغراض. فهل تريدينني أن أحضر لك شيئاً ما؟».

حدّقت فيه مولي متشككة. في كل مرة تعتقد فيها أنها تكرهه يبادر إلى شيء لطيف، ما يسبب لها تشوشاً كبيراً في أفكارها.

قبلت عرضه قائلة بنبرة متكلفة: «حسناً! يمكن أن تعطيني الفوطة المعلقة خلفك».

التفتت بعيداً عنه، وانحنت لتضع البطة في الفرن، ثم تابعت قائلة: «ولكي أطمئنك على الطعام الذي أطبخه، أخبرك أنني كنت أساعد كريس في مطعمها أيام عطلتي. وذلك منذ خمس سنوات».

جاءت نبرتها رسمية، لأنها تعلم أن جون يعرف مثل بقية الناس ماذا تعني كلمة «عطلة» بالنسبة للممثل؛ إنها عملياً انقطاع عن العمل. وتابعت كلامها: «أنا متأكدة من أنني لم أصل إلى مستوى كريس، لكن.. آه..!».

استدارت لترى جون واقفاً على بعد سنتيمترات قليلة منها، وتقطعت أنفاسها حين حدّقت في عينيه الصافيتين صفاء السماء في منتصف الليل.

تمتم جون بصوت أجش من دون أن يقدم لها الفوطة التي يحملها في يديه: «آه! أحقاً؟».

بدا كأن الزمن قد توقف. وهدأ المنزل بشكل غير معتاد، ولم يعد يسمع سوى صوت دقات ساعة المطبخ المعلقة على الحائط. حتى مريلين جلس هادئاً دون حراك.

شعرت مولي بجفاف في حلقها، وتصاعدت الألوان الدافئة إلى خديها عندما رأت نظرة جون الداكنة تتأمل وجهها.

ماذا سيقول هذا الرجل الذي يظن أنها كانت عشيقة أخيه جايمس إذا ما عرف أنها ما تزال عذراء وهي في سن التاسعة والعشرين.

بدا الحذر الشديد في نظرة جون الداكنة، وقال بصوت أجش: «لماذا تبتسمين بهذه الطريقة، كأنك تقولين «أنا أعرف شيئاً لا تعرفه أنت؟»».

كسر سؤاله هذا اللحظة الحميمية المشتركة بينهما.. شكراً للسماء!

تأوهت مولي، وابتعدت عنه ثم ارتجلت بحدة: «كنت أتساءل فقط متى ستعطيني هذه الفوطة».

أخذت نفساً عميقاً في هذا الوقت، وهي مشدوهة باللحظات الحميمة التي مرت، والتي بدا أنها تقاسمتها مع جون بعمق متزايد.

في المستقبل... وفي الأيام الثلاثة القادمة تحديداً... كلما قلّ الوقت الذي تمضيه مع جون، كلما كان ذلك أفضل بالنسبة إليها.

تطلع جون بعبوس إلى الفوطة التي ما زال يمسكها، وكأنه فوجيء لرؤيتها في يده. أخيراً، ناولها إياها وقال: «بماذا أستطيع أن أساعدك؟».

فكّرت مولي أن أفضل شيء يقدمه لها في هذا الوقت هو مغادرة المطبخ، وإعطاؤها فترة استراحة من رفقته المليئة بالأفكار المربكة.

بالرغم من ذلك، استنتجت من الطريقة التي تناول بها سكين تقطيع الخضار، ومن نظرته المليئة بالتوقعات، أن أمنيتها غير واقعية.

قالت له بحذر: «يمكنك إنهاء تقشير البطاطا إذا أردت أن تساعدني».

وانصرفت بعد ذلك لتركّز انتباهها على تحضير سلطة الكرنب مع اللوز.

لم تتملك مولي أية أوهام بشأن الصمت الذي ساد بينهما، إذ لم يكن ذلك الصمت يبعث على الراحة. كانت تعلم أن كلمة فقط... أية كلمة في غير مكانها... بإمكانها إطلاق مشاعر العدائية بينهما مرة أخرى.

وتساءلت أين السلام، والنيات الطيبة!

٧ - سوف تندم

- حسناً! أليس هذا مشهداً رائعاً للانسجام العائلي؟

تمتم دافيد بذلك بارتياح بعد وقت قصير.

التفتت مولي لتسدّد إليه نظرة تحذير من عينين ضيقتين. هل يقول انسجاماً عائلياً؟ ما هذا القول؟ فجون أليف كالنمر المفترس تماماً! وعلى ضوء اشتغالهما معاً في الدقائق العشر الماضية بصمت تام، فإنها باتت تشك أنه يدرك معنى كلمة انسجام، على الأقل في ما يتعلق بها.

أضاف دافيد يمازحه بتحدٍ: «كل ما تحتاجه هو منزر يا جون، كي يناسبك الدور».

بعد ذلك ألقى دافيد نظرة عجلى على أنحاء المطبخ ليتأكد من أن مريلين يرقد بأمان في الخارج، ثم دلف إلى الداخل.

نظر جون إلى الرجل الآخر من تحت حاجبين مرتفعين، ثم سأله بصوت ناعم: «وأي دور تفضل أن تلعبه أنت؟».

ضحك الممثل من دون خجل، ثم قال بسخرية: «لماذا تسأل؟ أفضّل القيام بدور مساعد الطبّاخ بالطبع».

كرّر جون ساخراً وقال: «بالطبع، لكن لماذا لا تقوم بشيء نافع أنت أيضاً؟».

قال دافيد بتمعن: «لا مانع عندي. على أحدهم أن يقلّنا جميعاً إلى الكنيسة في وقت لاحق من هذه الليلة، وبما أنكما أنجزتما هذا العمل الشاق في تحضير العشاء، سوف أقوم أنا بذلك».

بدت مولي وكأنها نسيت تماماً خطتهم لحضور قدّاس تلك الأمسية. ولم

تكن قد رأت كريس و سام منذ ساعتين، وذلك عندما ناولتهما دواء بيتر.

قالت بعبوس: «أتعتقد أن كريس وسام ما زالا مصممين على الذهاب؟».

ابتسم دافيد وقال: «ربما لا، لكن ليس هناك ما يدعونا نحن إلى عدم الذهاب».

سألت كريس ما إن دخلت إلى المطبخ: «عدم الذهاب إلى أين؟».

قال دافيد شارحاً: «كنا نتحدث عن الذهاب إلى الكنيسة في وقت لاحق من هذه الليلة».

أجابت كريس بنبرة دافئة: «أوه، نعم... علينا الذهاب جميعاً. ذهبت أنا وسام السنة الماضية، وكان الاحتفال جميلاً جداً، مع تلك الشموع المضاءة والزينة الرائعة. أنت...».

قطعت كلامها ما إن بدأ الهاتف يرن. جمدت مولي لدى سماعها ذلك الصوت، والتفتت فوراً إلى جون لتلاحظ العبوس الذي علا وجهه بسبب تساؤله عما إذا كانت هذه المكالمة واحدة من تلك المكالمات المقطوعة.

قال سام فور دخوله إلى المطبخ: «سأرد أنا».

وسرعان ما انتزع السماعة من مكانها، وأجاب بلطف كبير: «نعم؟ أنا أتكلم. آه بخير شكراً لك».

حسب ابتسامته، فهذه ليست إحدى المكالمات المقطوعة، وهذا ما أثار ارتياح مولي وجون أيضاً.

تابع سام قائلاً: «أفضل بكثير. لا. أنا متأكد بأن لا داعي لتقومي بهذا. مع أن..».

وضع يده على سماعة الهاتف، ثم قال بصوت خفيض: «هل هناك ما يكفي من طعام لاستقبال شخص إضافي؟».

التفتت كريس نحو مولي وقالت: «مولي؟».

تساءلت مولي عمن يكون ذلك «الشخص الإضافي». بدت نبرة سام وديّة جداً ومهذبة، فاستنتجت أنه ليس أحد الصحفيين على وجه التأكيد، وقالت: «بالتأكيد هناك ما يكفي من الطعام».

www.elromancia.com

رفع سام يده عن سماعة الهاتف، ثم أضاف بحزم: «لمَ لا تأتين على أي حال، وتنضمي إلينا على العشاء؟ لا، بالطبع.. لا مَانع لدينا أبداً.. سنتناول الطعام حوالى الثامنة، وهكذا تستطيعين القدوم حوالى السابعة والنصف. وأعتقد أيضاً أننا ذاهبون جميعاً إلى الكنيسة في وقت لاحق، وهكذا إذا أحببت الانضمام إلينا..؟ حسناً، سنراك لاحقاً إذاً».

وضع سام سماعة الهاتف، وأعلن بسعادة: «ستنضم إلينا ديانا شيشولم على العشاء».

ابتسمت كريس معبرة عن سعادتها، وقالت: «ذلك شيء رائع، لأنني استصعبت فكرة تمضيتها عيد الميلاد لوحدها».

- إذاً بإمكانك أن تفتح أبواب هذا البيت لكل المتشردين والتائهين.

قال دافيد ذلك بنبرة حادة، لكن يبدو أنه أدرك بأن ما وجهه هو ملاحظة قاسية، إذ سرعان ما علا وجهه العبوس، ثم تمتم بقسوة: «آسف... عن إذنكم».

واستدار مغادراً المطبخ بسرعة.

بدا سام حائراً لمغادرة الرجل الآخر المفاجئة، كما فوجيء الآخرون بالملاحظة التي سبقت مغادرته. قال سام: «ما خطبه؟».

تأوهت كريس وقالت: «أعتقد أنها غلطتي.. فهذا أول عيد ميلاد يمضيه دافيد بدون كاتي. من المؤكد أن هذا ليس بالأمر السهل بالنسبة إليه بعد كل تلك السنوات من الزواج».

ثم وقفت وتابعت كلامها: «سأذهب، وأتكلم معه».

إلاّ أن جون سارع إلى الوقوف بدوره، وقال: «لا! سأذهب أنا».

وعندما لاحظ أن كريس سوف تعترض قال مؤكداً: «إنه شأن يتعلق بالرجال».

أضاف بعد ذلك بمرارة: «لاشك في أن الأمر يصبح أقل إحراجاً إذا ذهبت أنا، وخصوصاً بالنسبة إلى دافيد».

قد يكون الأمر أقل إحراجاً بالنسبة إلى دافيد، لكن مولي شكّت بقدرة جون

على التعاطي مع مثل هذا الموضوع الحساس.

- إلاّ إذا كنت تحبين أن تذهبي أنت.

قال جون ذلك وهو ينظر إلى مولي، وبدا من الواضح أنه خمّن بعض أفكارها. مع أن السخرية التي بانت في نظرته أوحت بأنه أخطأ في تحديد سبب شكّها، تماماً كالمعتاد. رمقته مولي بنظرة تحمل الكثير من التحدي، وقالت له ببساطة: «لا، على الإطلاق».

لم تكن مهتمة أبداً بدافيد بالطريقة التي يوحي الرجل بها، لكن إذا أراد الاستمرار بالتفكير بهذه الطريقة، فهذه مشكلته هو.

تابع جون التطلع إليها للحظات طويلة. وبعد إيماءة فجائية من رأسه، لحق بالرجل الآخر.

تأوّه سام بكآبة، وقال وهو ينظر بتساؤل نحو مولي: «آه! ليخبرني أحدكم ماذا جرى هنا عندما انشغلت أنا وكريس عنكم».

إذا ما وضعنا جانباً إهانات جون التي وجهها لها في كل فرصة سنحت له، ثم بعد ذلك عناقه لها، وصورتهم جميعاً التي أخذت حيزاً كبيراً من الصحيفة.. وهو الأمر الذي أعطى جون سبباً آخر لإهانتها... وبعد ذلك تلك المكالمات المقطوعة، نستطيع القول بأنه لم يحدث أي شيء هذا اليوم!

لكن لم لكن لديها أي نية على الإطلاق لذكر أي شيء من هذا لسام أو كريس، لذا قالت ببساطة: «مجرد توترات عادية تحدث قبل عيد الميلاد مع الجميع».

التفتت بعد ذلك إلى صديقتها لتقول لها: «أتريدين أن أقدم صلصة ليمون، أم صلصة تفاح مع البطة التي ستتناولها هذا المساء؟».

في الواقع، كل ما يتعلق بالطبخ يستحوذ على اهتمام كريس، لذا اندفعت المرأتان في مناقشة منافع كل نوع من أنواع الصلصة قبل أن تتفقا على صلصة التفاح. أدركت مولي أن سام يراقبها بعينيه الخضراوين، فهو يعرف طريقتها الخاصة بتغيير موضوع ما، ولذلك لم يغفل عما يجري أمام عينيه. ذلك أنها وسام بمثابة شقيقين حقيقيين إن لم يكن أكثر، وقد اعتاد سام التخمين بما تفكر

فيه قبل أن تستطيع هي التعبير عنه.

تجمّدت مولي عندما دلف جون عائداً إلى المطبخ، وقد استعاد مرحه المعتاد. وتمنت أن يكون قد حقق نجاحاً مماثلاً مع دافيد.

سألت كريس بقلق: «هل كل شيء على ما يرام!».

أكّد لها جون: «سينزل بعد وقت قصير، لأنه قرر أن يأخذ حماماً ويبدّل ملابسه قبل أن يتناول العشاء».

ابتسم سام وقال بارتياح: «حسناً! سينضم إلينا على الأقل».

اتسعت ابتسامة جون وعلّق: «بالطبع سينزل. كان عليّ فقط أن أذكر له فوائد انضمام تلك المرأة الرائعة والناجحة إلينا على مائدة العشاء كي يوافق علي النزول».

تساءلت مولي باستياء، أحقاً أن تلك المرأة «رائعة» أكثر من سواها!

بالطبع. فأخت سام، الممثلة، تبدو في حالة مزرية وقد تلطخت بقع الزيت بسبب طهو البطة، بالإضافة إلى أن وجهها يبدو شديد الاحمرار بسبب وقوفها أمام الفرن، وشعرها مجعد من أثر الحرارة الصادرة منه. وبالطبع، لا يمكن مقارنتها، والحالة هذه، مع تلك الوسامة الهادئة واللطف الذي تتمتع به الطبيبة التي التقتها في وقت سابق من هذا اليوم.

اعترفت بمرارة بهذا الواقع، ما جعلها تشعر بالكآبة.

أضاف جون بنبرة رسمية: «بالطبع، بالإضافة إليكما أنتما أيتها السيدتان الرائعتان».

لكنه تأخر كثيراً بإبداء ملاحظته هذه بالنسبة لمولي. تقدمت كريس بعدئذٍ لتشبك ذراعها مع ذراع مولي قائلة: «دعونا جميعاً نقضي وقتاً ممتعاً، ونبدل ملابسنا استعداداً للعشاء. فالمناسبة هي عيد ميلاد بعد كل شيء. أتوافقين يا مولي على أن نترك هذين الرجلين ليحضرا الطاولة، بينما أصعد أنا وأنت إلى الطابق العلوي كي نبدل ملابسنا؟».

ابتسمت مولي إعراباً عن مشاركتها لكريس في هذه المؤامرة البريئة، ورفعت أنفها عالياً، ثم قالت قبل أن تسارع المرأتان إلى مغادرة المطبخ: «يبدو

لي هذا أمراً مناسباً!».

هزّت كريس رأسها بقوة عندما اجتازت الاثنتان الدرج العريض معاً، ثم قالت بجدية: «إذاً أخبرني، ماذا حدث فعلاً اليوم عندما كنت أنا وسام في الطابق العلوي مع بيتر؟».

أخفت مولي تعابير وجهها تماماً، وأجابت بدون اكتراث: «لم يحدث الشيء الكثير».

ضحكت صديقتها بنعومة، وعلّقت: «كاذبة! يبدو أنك تعودت على جون».

أجابت مولي باستياء: «إذا كنت تعنين بأني لم أضربه بعد على رأسه بإحدى مقالي مطبخك، فعندها تكونين على حق».

اندفعت كريس بالضحك أكثر: «إن جون رجل رائع».

كادت مولي تتعثر في آخر درجة بسبب دهشتها لهذا التصريح. جون، رجل رائع!

لاحظت كريس بخيبة أمل وعبوس ردة فعل مولي لتصريحها، فأضافت: «حسناً! أنا أعتقد أنه كذلك».

ردت مولي: «لعله كذلك بالنسبة إليك».

تابعت مولي كلامها بينما بدت كريس أقل سعادة: «لكن أخشى أن تكون القصة مختلفة تماماً معي. لعل الأمر يتعلق بعدم إعجابه بالممثلات».

إلاّ أن كريس ذكّرتها بتزلف: «لكنه سارع إلى تخليصك من تلك العنكبوت الليلة الماضية».

لم تحاول مولي تصحيح معلومات صديقتها حول «تخليص» جون لها من العنكبوت، لكنها قالت: «كريس، إنه لخطأ كبير من جانبك أن تحاولي الربط ما بين جون وبيني».

حاولت كريس التخمين بكبرياء: «هل تحدث سام إليك بهذا الموضوع؟».

ردت مولي بسهولة ظاهرة «لا، مطلقاً!».

لم تكن لدى مولي أدنى رغبة بجرّ سام إلى هذا الموضوع. قالت لصديقتها بنبرة

www.elromancia.com

تحمل الكثير من الرقة: «إذا لم ألاحظ مقاصدك، فذلك يعني أنني عمياء».

أضافت بحزم أكبر: «لكن توقفي عن ذلك، فأنا لست من النوع الذي يُعجب جون، ولا انجذبت في حياتي إلى ذلك النوع المغرور المتغطرس من الرجال».

- لكن...

قاطعهما صوت بارد برودة الجليد أتى من خلفهما: «أعذراني أيتها السيدتان».

أضاف جون بحدة أثناء وقوفه على الدرج وراءهما: «أنتما تسدّان عليّ الطريق».

أغمضت مولي عينيها لفترة قصيرة قبل أن ترفع رأسها وتنظر باتجاه السقف. وفجأة، تلاشت كل الأفكار عند رؤيتها الوردة الصفراء المرسومة على قبة السقف في الأعلى. كانت هذه هي العلامة الخاصة لجايمس...

للحظات، تجمدت في مكانها. كانت قد نسيت تماماً أنها امتدحت عمل جايمس لسام عندما كان يبحث عن مهندس ديكور داخلي، وشجعته على إحضاره إلى هنا قبل أربع سنوات. لكن تلك الوردة الصفراء الموجودة في أعلى قبة السقف ذكّرتها بكل قوة بالصديق والزوج والأخ الذي خسروه هم الثلاثة.

التفتت فجأة وكلها أمل بألاّ تكون كريس قد لاحظت شرودها القصير، أو سببه. فآخر شيء تريد القيام به في هذا الوقت هو تذكير كريس بالزوج الذي أحبته وخسرته. لكن لم يكن هناك من سبب لقلقها، فكريس انشغلت بإحدى زينات الميلاد الموجودة على درابزين الدرج، وكانت تحاول إرجاعها إلى مكانها.

لكن جون لم يكن منشغلاً بأي شيء. لاحظت مولي ذلك بخيبة أمل؛ ففكه بدا متصلباً، وبدت نظراته قاسية. وقبل أن تسير متجهة إلى غرفة نومها الموجودة في الطابق الثالث، استطاعت أن تتمتم: «أراكما لاحقاً».

أغلقت الباب خلفها، وأحست بارتياح بالغ وهي تعرف بأنه من غير المجدي حتى محاولة تفسير ما حدث للتو لجون. بدا لها أنه لن يصدق أية كلمة

تقولها على أي حال، وعلى الأخص عندما يتعلق الأمر بأخيه جايمس..

كادت تقع أرضاً حينما فُتح الباب وراءها، لكنها ما لبثت أن استعادت توازنها، والتفتت لتشاهد جون مسمراً عند الباب.

ما لبث أن اندفع بقوة إلى داخل الغرفة وأقفل الباب خلفه، وقال: «ماذا تظنين نفسك فاعلة بحق السماء؟».

لم يبذل جون أي مجهود لإخفاء عدائيته، والتمعت عيناه بشراسة، وهو ينظر إليها بكراهية ظاهرة.

ابتلعت مولي ريقها بصعوبة. كان بإمكانها التظاهر أن لا فكرة لديها عما يقوله، لكن حدسها أنبأها أنه سيغضب أكثر لو فعلت، هذا إذا استطاعت التكلم! وأدركت في الوقت نفسه أنه لن يصدقها إذا ما أخبرته الحقيقة، وهي أنها شعرت للحظة، وفقط للحظة وجيزة جداً، بتقارب مع جايمس، وبانجذاب روحي تجاهه، وأنها أخبرته ذهنياً أن كريس قد استعادت سعادتها الآن، وأن سام يهتم بها دائماً. بالطبع ستبدو هذه الكلمات السخيفة لو حاولت أن تشرحها لجون.

- حسناً؟

قال ذلك بنبرة قاسية، فيما راح أحد أعصاب فكه ينتفض بقوة، ثم شد يديه في قبضتين على جانبيه. أخذت مولي نفساً عميقاً. فماذا بإمكانها أن تقول؟ وكيف ستفسّر ما حصل؟

- كيف تتجرأين على التسكع هنا مثل امرأة بلهاء وقعت بالغرام؟

فاجأها جون بالسؤال قبل أن تستطيع صياغة جواب من أي نوع كان، ثم تابع قائلاً بغضب قبل أن يتقدم قليلاً ليمسك ذراعيها بقوة ويهزها قليلاً: «جايمس ميت. ميت... ألا تفهمين؟ متى ستتقبلون هذا الواقع؟».

شعرت مولي بالألوان تختفي من خديها بسبب القسوة الجارحة التي تتميز بها كلماته. فهي تعرف أن جايمس ميت، ولا ريب أن الجميع يعلمون ذلك، لكن هذا ليس سبباً كافياً لعدم التفكير فيه من وقت لآخر، لا سيّما هذه الأيام. إنها أجواء عيد الميلاد المتميزة بالدفء والحبور، لكنها أيضاً الأوقات

المناسبة للتفكير بالأشخاص الذين نحبهم والذين اختفوا من أمامنا.

هزّت رأسها وقالت: «أنا تقبلت هذا الواقع...».

هزّها مرة أخرى، ثم قال بقسوة: «لا! لا أعتقد أنك تقبلت ذلك».

علقت أنفاس مولي في حنجرتها، وردّت: «لا يهمني ما تفكّر به، إننا..».

- في تلك الحالة...

وبدون أي إنذار مسبق، وبدون أية مقدمات لما سيحدث، اندفع جون ليعانقها بقوة أسكتتها.

فوجئت مولي كثيراً بهذا الهجوم الصاعق، ولم تستطع القيام بأية ردة فعل، بل أحست كأن أنفاسها حُبست في مكان ما في صدرها بينما راح جون يشدها إليه بقسوة، وذراعاه تطبقان عليها كرباطين فولاذيين.

إلاّ أن الخدر الشديد الذي أحست به لم يستمر لأكثر من ثوان قليلة، بدأت مولي بعدها بمحاولة الابتعاد عنه بكل قواها. وبدأت يداها تدفعان صدره بتصميم قوي. حدقت فيه بعينيها البنيتين المتألمتين وقالت: «توقف عن ذلك. توقف عن ذلك يا جون».

صرخت فيه ثانية بينما التمعت عيناه مقابل عينيها، وقالت: «جون توقف عن ذلك!».

فجأة، توقف جون عن الحركة، وشحب وجهه الذي بانت عليه الخطوط الكالحة، وراح يبادلها التحديق بعيني متضيقتين، في حين استمرت يداه بالامساك بذراعيها بقوة. وفكرت مولي أن إمساكه بها بهذه القوة ليس شيئاً سيئاً، لأنها شكّت بقدرتها على الوقوف إذا ما تركها. أنّت بصوت ملؤه التأثر: «أرجوك... توقف».

فهي، ببساطة، لم تعد تتحمل المزيد هذا اليوم. الأربع والعشرون ساعة الماضية بدت بالنسبة إليها وكأنها مئة ساعة. أضافت بصوت أبح: «إنه عيد الميلاد!».

أغمض جون عينيه، وعلا وجهه عبوس، ثم هزّ رأسه، وتركها فجأة. أخيراً، تمتم وكأنه يلوم نفسه: «ماذا أفعل بحق السماء؟».

ابتلعت مولي ريقها بصعوبة، ثم أضافت بصوت مرتجف: «لا فكرة لدي. لكنني أشعر أنك سوف تندم على ما فعلته ما إن يتوفر لك الوقت للتفكير فيه».

فهي متأكدة تماماً من شيء واحد وهو أن آخر شيء يرغب فيه جون فعلاً هو معانقتها...

تابع جون التحديق فيها لعدة لحظات طويلة انحبست فيها أنفاسهما، كانت مولي أثناءها غير متأكدة تماماً مما سيفعله بعد ذلك، وعلى ضوء هذه الظروف بدا أنه غير متأكد من ذلك هو أيضاً. هزّ رأسه ثانية، وعبس بشدة ثم التفت بعيداً على نحو مفاجيء، وبدا متفاجئاً من تصرفاته، ثم قال: «أنا أعتذر عن... أعتذر عما حدث».

شعرت مولي بقلبها يغور في صدرها عندما شاهدته يمشي بتثاقل عبر الغرفة. وما إن فتح باب الغرفة حتى صرخت: «جون».

التفت نحوها، ولاحظت أن وجهه خلا من أي تعبير، وأجاب: «نعم؟».

عضّت شفتها السفلى واحتارت ما الذي ستقوله له الآن بعد أن حازت على انتباهه، لأن ما تعرفه فقط هو أنها لا تستطيع أن تدعه يذهب بهذه الطريقة، بدون أن تصارحه بأشياء كثيرة. تنفست بصعوبة وقالت: «بالنسبة لجايمس، أنا... كلنا نشتاق إليه».

بدا أكثر كآبة، لكنه قال: «ولكن بعضنا يشتاق إليه أكثر من الآخرين».

لم ينتظر جوابها بل أسرع خارجاً من الغرفة بهدوء.

جلست مولي بتثاقل على السرير لتخفي وجهها بيديها، فيما راحت الدموع تتساقط ساخنة من مآقيها.

٨ - ... وتموت النجوم

- تبدين رائعة!

أبلغها دافيد ذلك بإعجاب فور دخولها غرفة الجلوس بعد وقت قصير، وذلك لتنضم إلى الآخرين ولتشاركهم تناول العصير قبل الشروع بتناول العشاء. ثم أضاف: «تبدين كأنك سيدة عيد الميلاد في الواقع».

بدا من الواضح أنه يحاول تجاوز الاضطراب الذي ظهر عليه من قبل، عن طريق إطرائه هذا عليها.

أدركت مولي ما عنى قوله بشأن ذلك الفستان الذي يصل إلى الركبة، والذي يحتضن جسمها بأناقة. وهو فستان أحمر اللون ارتدته خصيصاً لهذه الأمسية. فلون الفستان الأحمر الفاتح كان سيدفع بشخص ما ليقول إنه لا يتماشى مع شعرها ذي اللون الأحمر النحاسي.

وبالرغم من أن جون بدا هادئاً على غير عادته هذا المساء أثناء وقوفه بكآبة بجانب الموقد، إلا أنه بدا أنيقاً وجذاباً ببذلته الرسمية السوداء وقميصه الناصعة البياض. وعندما التقت نظرته بنظرة مولي لفترة وجيزة بدا كأنه تمثال بارد ومنعزل. أبعدت مولي نظرتها بسرعة عن نظرته، والتفتت لتبتسم بوجه سام الذي ناولها كوب العصير، ثم داعبته قائلة: «بماذا نحتفل؟».

ردّ عليها بسخرية قائلاً: «إننا نحتفل بالبداية المتأخرة لعيد الميلاد».

أضاف بعدئذٍ بارتياح بالغ: «ديانا في الطابق العلوي مع كريس لتفحص بيتر، لكنها أكّدت لنا أن بيتر لا يعاني فعلاً من الحصبة، وأنه أصبح بحالة أفضل في هذا الوقت».

قالت مولي بارتياح: «هذا رائع! وبالتأكيد، هذا شيء يستحق الاحتفال به».

ارتشفت رشفة من كوب العصير بدون أن تلتفت نحو جون هذه المرة لترى إن كان يراقبها، لكن شعوراً اعتراها بأن التطلع إلى جون سيكون أمراً صعباً جداً بعد ما جرى في غرفتها قبل قليل.

وعندما لم تجد شيئاً آخر تتكلم عنه قالت: «أين مريلين؟».

قوّس سام حاجباً ساخراً وقال: «وأين تظنينه سيكون؟».

ابتسمت قائلة: «في الطابق العلوي يحرس بيتر».

ابتسم سام وردّ قائلاً: «إنك على حق. وأنا...».

قطع كلامه فجأة ما إن سمع صوت رنين الهاتف في المطبخ، ثم تابع بعبوس: «والآن، من عساه يكون؟ من يتصل عشية الميلاد؟».

قالت مولي بسرعة: «سأرد أنا، فقد تكون المكالمة من الأهل».

وضعت كوب العصير وسارت مسرعة عبر الغرفة.

قال لها جون بفظاظة: «سأجيب أنا».

تلاقى الاثنان فور وصولهما إلى باب غرفة الجلوس في الوقت نفسه. شعرت مولي باللون الأحمر يدفىء وجنتيها، لكنها لم تقدر على مواجهة نظرته الكئيبة الثاقبة عندما تطلع إليها، فردت بقبول: «لا بأس».

ثم أسرعت مبتعدة عنه كي لا تدعه يلاحظ تأثرها به، وخصوصاً بعدما حدث بينهما في وقت سابق.

على الرغم من غضب جون وعنفه، إلاّ أن مولي كانت تعرف أن جزءاً منها يرغب بالاستجابة إلى عناقه، وأنها تريد أن تتعرف على ذلك الرجل الفاتن الذي أحست بوجوده تحت سطح الغضب الذي يظهره.

وضع دافيد كوب العصير الذي ترتشف منه في يدها مرة ثانية، بعد أن تحرك ليقف قربها قائلاً: «خذي جنيهاً واخبريني ما الذي يجري».

هزّت رأسها بحزن، وردّت عليه: «لا أستطيع أن أفهم ما يجري، فلماذا يُفترض بك أنت ذلك؟».

هزّ دافيد كتفيه بحرارة وقال: «إننا خليط غريب من الناس... أليس كذلك؟».

كان يتمتم بذلك وهو يرى ديانا شيشلوم وكريس تدخلان غرفة الجلوس. ابتسمت المرأتان بوجه سام عندما التفت إليهما متسائلاً، فيما تابع دافيد يقول: «من الواضح بأن كريس وسام هما في مركز هذا الخليط المتنافر...».

قاطعته مولي مداعبة: «تكلم بالنيابة عن نفسك...».

أومأ موافقاً، وقال وهو يبتسم بمرارة: «ولديك طبعاً الطفل بيتر أيضاً. بعد ذلك تأتي الطبيبة شيشلوم.. إنها جميلة، ولربما تكون في الثلاثينات من عمرها، لكن من الواضح أنها مخلصة لمهنتها. ثم تأتين أنتِ أخت سام، وصديقة كريس، والوحيدة المؤهلة بيننا للمشاركة في احتفال هذه العائلة بعيد الميلاد، ثم أنا بالطبع، ذلك الرجل الذي ترمّل حديثاً.. وأنا أبتعد بخجل عن أي شيء من شأنه تذكيري بكاتي وعيد الميلاد الذي أمضيناه سوياً».

وضعت يداً متعاطفة على ذراعه، وحثّته مشجعة: «لا تبدأ الآن.. ولا تفعل ذلك بنفسك».

قالت ذلك مع أنها تتمنى في قرارة نفسها معرفة تفسيره الخاص لوجود جون في هذا المكان.

أين هو جون يا ترى؟ مرّ وقت طويل منذ ذهابه للرد على تلك المكالمة الهاتفية، فما هو الشيء الذي يؤخره عن العودة يا ترى؟

وقبل أن تبتعد عنه، تأكّدت من أنها ستترك دافيد بين يدي كريس الأمينتين. تمتمت: «أعذرني».

وجدت جون في المطبخ واقفاً أمام النافذة، وهو يحدّق في البعيد، وكما يفترض، كان يحدق في السماء المضاءة بالنجوم. توقفت في الممرّ غير متأكدة ما إذا كان يجدر بها أن تتطفل أم لا على ما بدا أنه لحظة تأمل شخصية. لكنها قررت أخيراً ألاّ تتطفل.

في الوقت الذي استدارت فيه لتبتعد بهدوء سمعت جون يتمتم: «يجعلنا هذا المنظر ندرك كم أننا تافهون جميعاً، أليس كذلك؟».

استدار ليواجهها، ولاحظت أن وجهه مغطى بالظلال جزئياً. تابع مفسراً كلامه عندما لاحظ نظرتها المتسائلة: «أتعلمين أن بعض هذه النجوم قد

مات واختفى تماماً، وذلك قبل أن يظهر نورها للجنس البشري؟ تماماً...».

قاطعته مولي لتعيده إلى عالم الواقع: «هل نسيت أنت ودافيد أخذ حبات الانشراح المسائية؟ أراكما أصبحتما متأملين».

تابع جون النظر إليها لعدة ثوانٍ، ثم تحرك فمه، وبدت عيناه ملتمعتين بضحكة مكتومة. بدا واضحاً أنه يريد كتم قهقهة قبل ظهورها عندما قال: «لو حدث هذا مرة أخرى، فمن المؤكد أننا نستطيع الاعتماد عليك لنعود إلى عالم الواقع، أليس كذلك؟».

هزّت كتفيها مستنكرة بدون أن تتأكد ما إذا كان كلامه لها مجاملة أم لا، إلاّ أنها صممت أن تعتبره كذلك. فهذه المرة على الأقل لم يكونا يتجادلان. قالت ببساطة: «والآن، من كان على الطرف الآخر من الهاتف؟».

ابتسم قليلاً قبل أن يرد: «إنها مساعدتي. هناك زبون يريدني أن أسافر إلى ڤينا بعد يوم واحد من عيد الميلاد».

علّقت مولي: «عمل طيلة الوقت، ولا مجال للّهو».

وبدأت تتساءل ما إذا كانت هذه المساعِدة جميلة، وما إذا كانت علاقتهما تنحصر في أمور العمل فقط. إذ إنه من غير المعتاد بالنسبة للمساعدة أن تطلب رب عملها عندما يكون خارج منزله، وفي ليلة عيد الميلاد فقط لتقول له إن مهمة جديدة تنتظره.

وبسرعة، لامت نفسها على مجرد التفكير بهذا الأمر. فماذا يهمها إذا ما كان جون على علاقة مع مساعدته أم مع غيرها؟

هزّ جون رأسه بحزم وقال: «ليس في هذا الوقت، فأنا مشغول منذ الآن وحتى عيد الفصح على الأقل. كل ما في الأمر أن هذا الزبون أراد أخذ موعد».

تعرف مولي أن جايمس كان مشهوراً جداً كمهندس ديكور داخلي، لكن اسم جون ويبر كان رائجاً قبل وقت طويل من ظهور جايمس على المسرح، لذلك لم يكن مستغرباً أن تكون تصاميمه مطلوبة كثيراً.

قال جون بمرح: «تعالي، لنذهب وننضم إلى الآخرين».

أمسك ذراعها بقوة ثم همس في أذنها ما إن اقتربا من غرفة الجلوس: «بالمناسبة، أعتقد أن دافيد على حق، تبدين رائعة بهذا الفستان».

دُهشت مولي كثيراً بهذه المجاملة غير المتوقعة إلى حد أنها تسمرت في مكانها وتطلعت نحوه بعينين واسعتين متفاجئتين.

قضت وقتاً كبيراً في العمل على مظهرها، بعد أن استنتجت من النظرة التي ألقتها على المرآة الموجودة في غرفة نومها بأنه غير مرضٍ. لكن آخر شيء توقعته هو أن يوجّه إليها جون تلك المجاملة حول مظهرها.

راح ينظر إليها متسائلاً، فاضطرت مولي إلى الإسراع بالكلام لتغطي الإحراج الذي سببه لها. ثم ما لبثت أن شعرت بالرغبة في الانكماش على نفسها بعد أن قالت له ببساطة: «وأنت تبدو رائعاً أيضاً».

ابتسم مرة أخرى وعادت إليه نظرته الخبيثة، ثم تمتم بطريقة متكلفة: «حسناً! يبدو أننا، نحن الاثنان، قد تناولنا حبوب التهذيب هذا المساء».

أضاف جون بعد أن أصبحت تعابير وجهه داكنة: «أخشى يا مولي بأن تكون الأمور قد أفلتت من عقالها في وقت سابق، و...».

لم تعد مولي قادرة على تحمل نظرته المركزة عليها، فقاطعته فوراً: «من فضلك، لننسَ الأمر».

مال رأسه نحوها فأصبح وجهه على بعد بوصات منها، ووضع يده تحت ذقنها بحيث لم تجد مناصاً من التطلع نحوه، ثم سألها بصوت أجش: «وهل نستطيع أن نفعل ذلك؟».

حسناً! من الواضح أنها لا تستطيع أن تنسى. لكنها أكدّت له بمرارة: «بالطبع نستطيع ذلك».

ثم أعلنت بنفس التصميم السابق: «إنه عيد الميلاد! وبالطبع، يجب علينا أن نكون ودودين مع بعضنا البعض في هذه المناسبة».

حرّك جون فمه بسخرية وقال: «أقدّر مشاعرك، مع أنني أظن بأنها طموحة قليلاً».

هزّت كتفيها بأسف وقالت: «نعم، حسناً... أقترح أن ننضم

للآخرين».

قالت ذلك بلباقة وهي تبتعد عنه، لأنها شعرت بوخز في ذقنها، وتابعت: «.. قبل أن يتلاشى مفعول حبوب التهذيب».

فوجئت مولي بضحكة جون المدوية هذه المرة. إنه يبدو جذاباً عندما يضحك، حتى إن مولي حبست أنفاسها في حنجرتها.

هزّ رأسه وتنهد قليلاً قائلاً: «أتعرفين؟ لستِ من النوع الذي ظننتك منه».

أتت جملته الأخيرة هذه وكأنه مندهش، هو نفسه، من هذا. ردّت مولي بحذر: «لستُ من ذلك النوع؟».

ابتسم قليلاً، وتابع: «لا».

هزّت كتفيها ثم أضافت بجدية: «في الواقع، أنا لا أظن أنني أنتمي أبداً إلى النوع الذي ظننتني أنتمي إليه، لكن ذلك يبقى رأياً شخصياً، أفهمتني؟».

نظر إليها جون بعبوس للحظات طويلة قبل أن يمسك ذراعها بشدة مجدداً، وهو يفتح باب غرفة الجلوس، . ثم قال بجدية: «لننضم إلى الآخرين كما اقترح كلانا من قبل».

لم تكن مولي متأكدة ما هو النوع الذي صنفها فيه جون بعد هذه المحادثة الأخيرة، لكنها ساعدت على الأقل بجعل عشاء عيد الميلاد أكثر متعة للجميع، كما أنهما لم يوجها أية ملاحظة لاذعة لبعضهما البعض. حتى إن دافيد قد تخلص على ما يبدو من شعوره بالوحدة عندما استطاع التحدث مع ديانا شيشلوم حول عملها.

في الواقع، مرّ العشاء بمتعة تامة، وأثنى الجميع على طبخها اللذيذ. وبالطبع، سرّت مولي كثيراً بهذا الإطراء، إلا أنها أكدت لهم أن كريس كانت ستقدم لهم طبخاً ألذ، لو قامت هي بالمهمة.

حتى بيتر اشترك في الوليمة أيضاً، وبدا أكثر سعادة في هذا الوقت، برغم البقع المتناثرة على جلده الطفولي الحساس.

وبالتأكيد، لم يكن الوقت ملائماً كي يدقّ جرس الهاتف قاطعاً عليهم أمسيتهم للمرة السادسة هذا اليوم.

قالت مولي بحزم: «سأرد أنا هذه المرة».

قالت ذلك بنظرة تصميم عندما هبت واقفة، وأدركت التوتر الفجائي الذي شعر به جون الذي كان جالساً قربها على المائدة. وبعد أن ألقت نظرة على ساعة معصمها، أضافت: «لا بد أنه الرقم الخاطىء في هذا الوقت من الليل».

لكن جون تدخل فوراً، إذ هب واقفاً ثم قال: «سآتي معك».

لا شك أنهما سيصبحان عرضة للشك من قبل الآخرين، إذا ما استمرا بالاسراع سوياً هكذا كلما رن جرس الهاتف. لكنها لم تكن متأكدة إذا كان هناك من حاجة تدفع أياً منهما للقيام بذلك..

أكد جون بحزم وهو يتبعها إلى خارج الغرفة: «يجب أن أجري اتصالاً هاتفياً».

التفتت مولي لتحدق فيه بينما كانت تسرع إلى المطبخ لترد على الهاتف، وقالت له بلهجة لاذعة: «لا شك أنك تدرك بأن الآخرين سيبدأون بالتساؤل بشأن الطريقة التي تختفي فيها هكذا في كل مرة».

أسرع جون وأمسك بسماعة الهاتف قبل أن تصل مولي إليها، ثم رد عليها بقسوة: «دعيهم يتكلمون».

أجاب ببطء بينما رفع حاجبيه باتجاه مولي دلالة على أنه تلقى رداً هذه المرة: «مرحباً. لا، لست سام. هل تريدين أن...؟ سحقاً!».

أبعد سماعة الهاتف عن أذنه قبل أن يعيدها إلى مكانها في الحائط، وتمتم بنفاد صبر: «لقد قطعت المكالمة».

قالت مولي بعبوس: «أتقول قطعت؟».

أومأ جون بجدية: «نعم، هي قطعت المكالمة».

نظرت إليه بحذر، وخشيت أن تكون الهدنة السائدة بينهما على نهايتها، فسألته ببطء: «لماذا تنظر إلي هكذا؟».

ابتعد جون عنها على الفور ليبدأ بذرع المطبخ جيئة وذهاباً، وقال بعصبية: «لأن سام ليس هنا كي أنظر إليه بهذه الطريقة».

راقبته مولي لثوان قليلة من غير أن تدرك ماذا يجري بالفعل، ولم تكن لديها

فكرة عما يفكر فيه جون. ثم عبست قبل أن تقول: «جون!».

قال جون وعيناه الزرقاوان تشعان بالغضب: «مع من يعتقد أخوك أنه يعبث؟ ألا تكفيه زوجة جميلة مثل كريس وطفل مولود حديثاً؟».

جمدت مولي في مكانها بكبرياء ما إن بدأت تفهم ما يقوله جون، فردت عليه: «بالطبع تكفيه... جون ماذا تعني بقولك؟».

تابع تجواله جيئة وذهاباً، وأجابها: «إنه السيناريو المعتاد، أليس كذلك؟ فها هي العشيقة تتكلم هاتفياً مع عشيقها في وقت احتفاله بعيد الميلاد مع عائلته، وهي تشعر بأنها هجرت».

لا يمكن لجون أن يعتقد بأن سام هو من هذه الفئة! انفجرت فيه قائلة: «هاي! تمهل لدقيقة...».

توقف جون عن تجواله ليتحداها بقسوة، و قال: «ألديك تفسير آخر لاتصال هذه المرأة المستمر بالمنزل، وقطعها المكالمة ماإن تعرف بأن سام لا يرد على المكالمات؟».

حدّقت فيه ملياً وقالت: «ليس لديّ أي تفسير لهذه المكالمات الهاتفية، ولا أعرف أي أسباب تدفع بهذه المرأة إلى قطع المكالمات بهذه الطريقة، لكنني متأكدة من شيء واحد وهو أن سام ليس لديه عشيقة».

هزّت رأسها باستياء، وتابعت كلامها بلهجة اتهامية: «لأنني رأيت السعادة التي تربط سام وكريس، ولا أدري كيف يمكنك الإيحاء بمثل هذا الشيء، إلاّ إذا كنت تفتش عن عذر للتسبب بالمشاكل بينهما، ولعل ذلك يرجع إلى مشاعرك تجاه كريس».

أحست مولي بحمرة الخجل تعلو خديها بسبب الغضب الذي التمع في عينيها البنيتين بعمق. تسمّر جون في مكانه، فيما تصلّبت كل عضلة وكل عصب في جسده بسبب الاستياء، لكن صوته جاء هادئاً إلى حد الخطورة عندما قال: «ماذا تعنين بالضبط بتلك الملاحظة؟».

رفعت مولي ذقنها بتحدٍ، وشعرت أنها مدفوعة إلى متابعة اتهامها: «كل شخص له عينان يستطيع أن يرى أنك تحب كريس».

توقفت عند كلامها المتهوّر . . هل أقدمت فعلاً على التعبير عن الأمور التي كانت مجرد شكوك في داخلها بصوت عالٍ؟

نعم، هذا ما حصل! لكنها قالت ذلك الكلام في معرض دفاعها عن سام. كيف تجرأ أن يقول عنه مثل هذه الأشياء؟ فبعد أن مرّ بتجربته الأليمة مع خطيبته السابقة التي كانت غير متوازنة، منذ اثنتي عشرة سنة، لم ينظر سام بجدية إلى امرأة أخرى حتى التقى بكريس. حسناً! صحيح أنه لم يقع بالحب من أول نظرة مع كريس، لكن اتضح للجميع الآن بأنهما يحبان بعضهما كثيراً، وأن أياً منهما ليس لديه الوقت لأي شيء آخر.

اتضح للجميع ما عدا جون، كما يظهر . . .

استنتجت مولي من الالتماع الخطر في عينيه أن العاطفة الوحيدة التي يشعر بها الآن هي الغضب القاتل . . .

٩ - رهبة وشيء ما

سألها جون ببرودة: «كيف تتجرأين على قول شيء كهذا لي؟».

ضمت يديها في قبضتين على جانبيها بقوة وجابهت نظرته بدون وجل، قبل أن ترد عليه بحدة: «وكيف تتجرأ على قول شيء كهذا عن سام أمامي؟».

هزّ رأسه بنفاد صبر وقال: «يجب أن تنسي كل شيء عن هذا الموضوع في الوقت الحاضر، ودعينا نركّز على . . .».

قاطعته مولي بحزم قائلة: «لا! يجب ألاّ ننسى هذا الموضوع!».

ثم تابعت تقول بإصرار: «إن اتهاماتك وشكوكك بشأن سام وامرأة مفترضة أخرى لا أساس لها من الصحة. إنها أشياء قذرة وملفقة لأنه . . .».

قال جون بنعومة بعد أن ظهر عصب نابض في فكّه المطبق بشدة: «أنصحك بألاّ تكرري ما قلته لتوك عن مشاعري تجاه كريس».

لكن مولي واجهته دون وجل، وقالت مؤنبة: «ولمَ لا؟ بغض النظر عن الاتهامات التي توجهها للآخرين، هل تعتبر نفسك فوق الشبهات؟ أم أن ما قلتُه يقارب الحقيقة؟ ماذا . . .؟ أوه . . .».

لم يتسنَ لها الوقت إلا للتأوه قبل أن يشدها نحوه بقوة ويعانقها. إلاّ أن عناقه هذا لم ينم عن الغضب كما كان من قبل . . .

اخترقتها موجة من الحرارة واستجابت لعناقه دون مقاومة، بعد أن غدا لطيفاً مثيراً للمشاعر.

صدرت عنها شهقة حينما عاد يشدها بقوة إليه، وسرعان ما تحولت الشهقة إلى أنّة صادرة عن حنجرتها وهي تشعر بقوة جسده وصلابة عضلاته.

قاطعهما صوت ناعم يداعبهما: «هاي.. أراك تحاول إغواء أختي

www.elromancia.com

الصغيرة يا جون!».

صرّح سام بهذا بينما اندفع الاثنان مبتعدين عن بعضهما البعض، ثم تابع قائلاً: «تلقت ديانا اتصالاً على هاتفها النقّال، لذلك فهي لن ترافقنا إلى الكنيسة. أعتقد أنكما تريدان توديعها».

وجدت مولي صعوبة في أن تتذكر من تكون ديانا. وللحظات قليلة، بدا أن جون يعاني تلك الصعوبة نفسها، بدا ذلك من العبوس الذي علا وجهه. إلاّ أنه عاد إلى عالم الواقع قبلها، فأصلح من وقفته قبل أن يومىء فجأة، ثم قال بتهذيب بعد أن شملت إيماءته مولي وسام: «سأذهب الآن».

أخذت مولي نفساً متردداً، وأغمضت عينيها لفترة قصيرة. من المؤكد أنها كانت تتخيل الأمور التي حدثت بينها وبين جون قبل قليل.. فهي لم تكن تشعر بالغضب أو الاستياء، بل شعرت بشيء مختلف تماماً...

كانت تحتاج إلى الوقت كي تفكّر وتحلّل ما اعتقدت أنه حدث بينهما..

عندما فتحت عينيها وجدت أن سام يتأملها بنظرات ذات مغزى، لكن ابتسامته كانت تحمل الاعجاب الممتزج بالمداعبة. سألها بنعومة: «أهناك شيء يجدر بي أن أعرفه يا أختي الصغيرة؟».

ليس قبل أن تفقه بنفسها ما الذي يحدث الآن. هذا إن استطاعت فعل ذلك أساساً... كما أن سام بغنى عن معرفة ما يتخيّله أحد ضيوفه عن علاقته مع امرأة أخرى.

علا العبوس وجهها عندما تذكرت ذلك. وعلى الفور، تلاشت كل الأحلام الوردية التي أحاطت بها. تذكرت أن جون عانقها في البداية بسبب الاتهامات التي وجهتها إليه بخصوص مشاعره تجاه كريس، ولا يجدر بها أن تنسى هذه الحقيقة أبداً.

أكدت له ببساطة وهي تتقدم لتشبك ذراعها مع ذراعه: «لا شيء أبداً. دعنا نذهب لنودع ديانا، ونتمنى لها ليلة سعيدة».

أومأ أخوها غير الشقيق، وقال محذراً إياها ومداعباً: «أنا موافق، لكن لا تظني أن بإمكانك تفادي الإجابة عن هذا السؤال إلى الأبد».

وتابع سام مصرحاً بثقة: «أنا متأكد أن شيئاً ما يجري بينك وبين جون». بالتأكيد، هناك شيء بينهما، لكنها لا تعرف ما هو بالتحديد.

* * *

لم تشعر مولي أنها أفضل حالاً عندما وجدت نفسها وحيدة مع بيتر بعد ساعتين فقط، وذلك بعد أن أصرت على البقاء معه بينما يذهب الآخرون إلى قداس منتصف الليل في الكنيسة.

- ماذا يجدر بي أن أفعل؟

قالت ذلك لنفسها بعد أن وقفت وتوجهت نحو النافذة، وراحت تتأمل السماء المضاءة بالنجوم، تماماً كما فعل جون في المطبخ في وقت سابق من هذا المساء.

جون! كل فكرة تمر في ذهنها، وكل شيء تتلفظ به كان يعود بها إلى جون وهذا الأمر لا يشكل مفاجأة إذا أخذنا الظروف الراهنة بعين الاعتبار.

كل ما تعرفه هو أنها أصبحت متعلقة به كثيراً. ولعل الأمر يتعدى مجرد التعلّق. حسناً! ماذا يعني ذلك؟ لا يمكنها أن تكون واقعة في غرام جون! هل هذا هو الأمر...؟

ندّت عن مولي أنّة موجعة حين أدركت أن هذا ما حصل فعلاً، لأنها وقعت في حب الرجل الذي لا يكن لها سوى مشاعر الكراهية.

عبست قليلاً ما إن رأت أضواء سيارة قادمة من بعيد. نظرت إلى ساعتها... لم يكن الوقت قد حان بعد ليعود الآخرون من الكنيسة، إذ لم يتجاوز الوقت منتصف الليل بعد، ولم يكن للقداس أن يبدأ قبل الحادية عشرة والنصف.

لكن هذا المنزل يقع في مكان منعزل، وما من بيوت أخرى بالقرب منه. إذاً، لا بد أن تكون السيارة متوجهة إليه، إلا إذا كان يقودها بعض المتسكعين الذين ضلّوا طريقهم... لم تكد تنتهي من التفكير بهذا الموضوع حتى رأت السيارة تستدير في منتصف الطريق وتعود أدراجها.

- هذه هي أجواء عيد الميلاد!

وجهت كلامها إلى بيتر، مع أن الطفل كان يغط في نومه العميق غير مكترث لها، كما اكتشفت عندما نظرت إلى سريره. عظيم جداً، فهي تكلّم نفسها الآن!

لم تدرك من قبل كم من المروّع أن يكون الإنسان وحيداً في هذه الساعة المتأخرة من الليل. ففي الماضي، كان سام موجوداً دائماً بقربها، وفي ما بعد جاءت كريس لتبقى مع سام. لكن المنزل لم يكن بذلك المكان الذي ترغب في أن تقضي فيه الكثير من الوقت لوحدها. ولطالما تساءلت كيف استطاع سام تحمل أجواء الوحدة قبل أن يتزوج كريس.

ابتسمت باعتذار باتجاه مريلين عندما رفع رأسه الكبير لينظر إليها، وكأنه خمّن أفكارها جيداً، وقالت له: «أعرف كيف تشعر. لكن الأمر ما زال مروّعاً قليلاً. تعال».

تابعت كلامها مع ذلك الكلب، وقررت أن من الأفضل لو تُبقي نفسها منشغلة وتابعت: «لننزل إلى الطابق السفلي ونحضّر بعض الشراب الساخن والفطائر الصغيرة».

على الرغم من ذلك، أسدلت الستائر على نوافذ المطبخ قبل أن تبدأ بتحضير المشروب ووضع الفطائر الصغيرة في الفرن الساخن، وتابعت كلامها لمريلين بسخرية: «هذا للاحتياط».

لو اكتفينا بالقول إنها شعرت بالقليل من الارتياح عندما سمعت صوت الحصى المتطاير من تحت إطارات سيارة جون الجاغوار، وهي السيارة التي اختارها الآخرون ليذهبوا بها إلى الكنيسة، لكان ذلك القول متواضعاً جداً. لأن السكون المخيّم على المنزل كان يضاعف الأصوات الصادرة من أغصان الأشجار في الخارج، وكذلك صوت سقوط الأوراق على الطريق، وحتى صوت جهاز التدفئة في المنزل. ذلك كله جعلها تشعر بالرهبة قليلاً.

يا للروعة!

قالت كريس ذلك بحماسة فور دخولها باب المطبخ وتنشقها رائحة الفطائر الصغيرة. بدا خداها متوردين بسبب الهواء البارد جداً في الخارج، وكانت

عيناها تشرقان بالسعادة، فأضافت باهتمام: «هل بيتر بخير؟».

ابتسمت مولي لسام ودافيد فور دخولهما إلى المطبخ، لكنها أشاحت بنظرها قبل أن يدخل جون الذي تأخر لإقفال أبواب سيارته، وردّت بتعاطف: «بالطبع. تستطيعين الصعود والاطمئنان عليه إذا أردت».

انصرفت بعد ذلك لتسكب الشراب الساخن للجميع، بينما هرعت صديقتها لتطمئن على طفلها. وسرعان ما أحست مولي بوجود جون لأنه وقف باكتئاب بجانب الفرن ليدفىء يديه. أحست بوجوده بصورة متزايدة الآن عندما أدركت كيفية وقوعها بغباء في غرام هذا الرجل. لأن قصة غرامها السابقة التي حدثت منذ أكثر من ثلاث سنوات بدت سخيفة مقارنة بما تشعر به الآن.

تناولت مولي الطبق من الفرن الساخن، وأبقت نظرتها باتجاه الأسفل كي لا تضطر للنظر إلى جون، ثم قالت بتهذيب: «أيحب أحدكم تناول فطيرة؟».

وضع دافيد كوبه وتناول فطيرة وقال: «شكراً. لا أعرف ماذا تنوون فعله، لكني أنوي أن أذهب للنوم ما إن أفرغ من تناول هذه. إنني مرهق فعلاً».

- وأنا كذلك.

وافقت مولي بسرعة، إذ لم تشعر بأية رغبة بإطالة مكوثها في المكان، والمخاطرة بأن تضطر للانشغال بحديث ليلي متأخر يشارك فيه جون.

قال سام: «عليّ أن آخذ مريلين في جولة أخيرة».

وابتسم قبل أن يتابع قليلاً: «أمضت كريس ساعات بتحضير هذه الفطائر، لذا من الأفضل أن تبقي واحدة لي يا مولي».

أكدت له بانشراح: «سأفعل ذلك».

أبقت مولي نظرها بعيداً عن جون وهي تسأله: «أتريد فطيرة يا جون؟».

استطاعت رؤية يده الممدودة بينما قال بصوت أجش: «شكراً لك».

كانت يداً قوية ذات أصابع طويلة ورشيقة، مع أظافر قصيرة ومعصم عريض، غطاها شعر أشقر ناعم.

سألها جون بنعومة: «ألن تأكلي واحدة؟».

- أوه... لا!

www.elromancia.com

شعرت أن فمها أصبح جافاً، وأنها ستختنق إذا ما تناولت إحدى هذه الفطائر اللذيذة. التفتت بعيداً لتقول: «تناولت واحدة قبل قليل، عندما كنتم في الخارج».

ارتعشت يدها قليلاً أثناء تناولها لذلك المشروب الذي احتاجته كثيراً. لكنها أدركت أن الوضع القائم بينها وبين جون أصبح لا يطاق، حتى إنها لم تعد قادرة على النظر باتجاهه.

اقترب دافيد ليعانقها بلطف قائلاً: «عيد ميلاد سعيد يا مولي، فالوقت تجاوز منتصف الليل. أتمنى أن تستمتعي بالعديد من هذه الأعياد».

أعرب دافيد عن تمنياته بحرارة ثم ابتعد عنها. ازداد خفقان قلبها لأنها تساءلت ما إذا كان جون قد قرر أن يفعل الشيء نفسه، ولم تكن متأكدة من استجابتها فيما لو قرر هذا. إلا أنها أجابت دافيد: «وأنت أيضاً».

على أي حال، لم تضطر إلى الإجابة عن هذا السؤال، لأنها سمعت صوت باب المطبخ وهو يُفتح. وقف سام في الباب، والاجهاد باد على وجهه. ثم قال بقلق: «هرب مريلين، وهو لا يردّ عندما أناديه».

ثم نظر باتجاه جون ودافيد، وقال: «هل لديكما مانع بأن تخرجا وتساعداني في البحث عنه؟».

نظرت مولي إلى دافيد فأدركت أنه غير متأكد من مزاجه تجاه ذلك الكلب، فتطوعت قائلة: «سآتي أنا، لأن دافيد متعب. وأنا سأستفيد من تجوالي في الهواء الطلق على أية حال».

قال لها دافيد ساخراً بعد أن تبعت جون وسام إلى الخارج: «أدين لك بواحدة».

توقفت للحظة، وابتسمت بوجهه قائلة: «لا تقلق، سوف أجد طريقة ما لتسديد دينك لي».

قال مداعباً: «فكري جيداً. فبعد كل شيء، عليّ إبقاء سيدتي المفضلة راضية، أليس كذلك؟».

كانت مولي ما تزال تبتسم وهي تقفل باب المطبخ وراءها. إلاّ أن ابتسامتها

تلاشت ما إن التفتت لتجد نفسها وجهاً لوجه مع جون. تراقص فمه بسخرية بينما نظر إليها معلّقاً: «يا للروعة!».

فتحت مولي فمها لتنطق بردّ حاد على سخريته الواضحة، لكنها أغلقته مجدداً. ما الفائدة من ذلك؟ فجون لن يمتلك صورة جيدة عنها مهما يكن، لماذا تتجشم عناء المحاولة؟

ذكّرته على الفور: «ألا يُفترض بنا أن نبحث عن مريلين؟».

- طبعاً!

أحنى رأسه بسخرية، ومدّ يده في إشارة منه كي تسبقه. سرّت مولي لأنها تتحرك بعيداً عن الضوء الصادر من نافذة المطبخ. وأدركت أن خديها متوردان، وعينيها مشرقتان، لكن ليس بسبب البرودة القارسة لهواء الليل.

لم يظهر مريلين أبداً حتى بعد أن أمضوا عشر دقائق بالصراخ والبحث عنه. وبدا سام قلقاً أكثر منه مستعجلاً عندما التقى الثلاثة من جديد خارج المنزل. حاولت مولي أن تطمئنه، فقالت: «لعله ذهب ليطارد الأرانب مجدداً، تعلم أنه يحب القيام بذلك».

أجاب سام ببطء: «ربما... أنا فقط...».

قطع كلامه عندما سمع الجميع همهمة وضجيجاً غير مفهومين، فأكمل ليقول: «ما هذا...؟».

اندفع سام بتصميم ليتقدم إلى تلك الجهة من المنزل حيث صدر الضجيج، وتبعه جون ومولي في الوقت المناسب وهو يفتح باب كوخ الحديقة، ثم ليشاهدوا مريلين المنشرح مندفعاً في الظلمة ليقفز باتجاه سام الذي بدا عليه الارتياح.

- انتهى الذعر!

هذا ما تشدق به جون بسخرية وهو يسرع الخطى لينضم إلى سام وكلبه الذي راح ينبح بسعادة.

راح سام يربّت على ظهر كلبه بينما كان يجول بنظره شارد الذهن، وتمتم: «صه يا مريلين، لأنك تكاد توقظ بيتر».

سأل جون باهتمام: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أومأ سام وهو يصلح عن وقفته: «همم.. أنا أتساءل كيف علق مريلين داخل الكوخ، هذا كل شيء».

ثم هزّ كتفيه وقال مؤكداً: «ربما نسيت باب الكوخ مفتوحاً في وقت سابق، ثم أغلق الباب عند دخول الكلب».

وضعت مولي ذراعها على ذراعه وقالت مشجعة: «إنه بأمان الآن، وهذا هو الشيء المهم».

ابتسمت بسعادة وثقة قبل أن تضيف: «لننصرف جميعاً من هذا البرد القارس».

لكن الأفكار التي جالت بداخلها كانت أقل ثقة. فكيف تفسر تلك المكالمات الهاتفية الغريبة هذا اليوم؟ بالتأكيد لم يكن مصدرها عشيقة مفترضة لسام.. وأضواء السيارة التي رأتها في آخر الطريق قبل بعض الوقت، والآن هذا الاحتجاز الغريب لمريلين في كوخ الحديقة... هذه الغرابة بالذات هي التي أثارت قلقها.

ربما نسي سام إغلاق باب كوخ الحديقة، وربما دخل مريلين صدفة إلى داخله، وربما أغلقت الرياح الباب خلفه...

بدا لمولي أن هناك كماً كبيراً من الاحتمالات على مسرح الأحداث...

١٠ - واضطرمت نيران الشوق...

- هل تنتظرين بابا نويل لتبلغيه شخصياً بأنك كنت لطيفة، ولم تكوني شريرة؟

بدا الصوت مألوفاً جداً بالنسبة إلى مولي وهو يعلّق بسخرية على جلوسها وحيدة في المطبخ بعد ساعتين من الزمان، وتناولها لكوب من القهوة.

استطاعت أن تأخذ نفساً حاداً فور سماعها صوت جون، وتمكنت من إطلاقه مع تأوه شديد، بينما استوعبت الإهانة المتعمدة في كلماته. استرخت بعد ذلك في مقعدها لتنظر نحو جون الواقف في مدخل المطبخ، ثم قالت بحدة: «كانت أمي تقول دائماً: «إذا لم يستطع المرء التفوّه بكلمات لطيفة فمن الأفضل ألاّ يقول شيئاً!»».

كان سام قد أحضر مريلين إلى المطبخ قبل توجهه إلى غرفة نومه، وذلك بعد أن دخلوا جميعهم إلى المطبخ قبل ساعتين، لحقته مولي وجون وصعدا الدرج متوجهين إلى غرفتيهما. لكن على الرغم من محاولاتها اليائسة، وجدت مولي نفسها غير قادرة على النوم. وأخيراً توقفت عن محاولتها للاستغراق بالنوم قبل نصف ساعة، وفضّلت أن ترتدي بنطلوناً قطنياً وكنزة قديمة لسام، وتنزل إلى الطابق السفلي كي تحضّر بعض القهوة لنفسها.

دلت هيئة جون على أنه توجّه إلى السرير سابقاً، لأنه خلع بذلته الرسمية وارتدى بنطلوناً قطنياً ذا لون أزرق شاحب، وقميصاً قطنياً بلون أزرق داكن، أما شعره فبدا أشعث قليلاً.

وفي واقع الأمر، بدا وديعاً، وجذاباً، ويبعث على الارتياح بالنسبة إلى مولي.

سار إلى الداخل بهدوء، ثم بادر إلى سكب بعض القهوة في كوبه، وأسرع إلى سحب مقعد قبالة مقعد مولي ليجلس عليه. وأخيراً تشدق قائلاً: «بعد أن التقيت بكارولين، عرفت أية امرأة جميلة ورائعة هي».

نظرت إليه مولي بطريقة دفاعية، ثم وبخته باستياء قائلة: «من الصعب أن تصدّق أن مثل هذه المرأة «الفائقة الجمال» يمكن أن تكون والدتي، أليس كذلك؟».

رد جون بابتسامة جافة: «لم أقل هذا».

ردت عليه مولي: «لم تكن مضطراً إلى قول شيء فأنت...».

قاطعها بهدوء وقال: «لم آت إلى هنا لأتجادل معك يا مولي».

نظرت إليه بحذر لثوان طويلة بينما بادلها جون النظر. واستطاعت أخيراً أن تقول ببطء: «إذاً، لماذا نزلت إلى هنا؟».

هزّ كتفيه وقال: «أظنه السبب نفسه الذي جاء بك إلى هنا. لأنني لم أستطع النوم».

تحرك فمها بسخرية وقالت: «هل خشيت أنت أيضاً ألاّ يصدق سانتا كلوز أنك كنت لطيفاً هذه السنة؟».

ابتسم لردها، ثم قال متنازلاً وقد علا العبوس وجهه: «أظنك على حق في هذا. لكن لا! في الواقع لا أظن ذلك. ماذا تظنين بشأن ما يجري يا مولي؟».

نظرت إليه بذهول. هل انكشف اضطرابها التام وكل ما يتعلق بمشاعرها تجاه هذا الرجل؟ إن كان ذلك صحيحاً، فهي إذاً...

تابع جون كلامه برباطة جأش: «إنني أتحدث عن تلك المكالمات الهاتفية الغريبة».

حملقت مولي فيه وردت: «قلت لك من قبل، ليس صحيحاً ما تصورته. هذه المكالمات ليست من عشيقة مفترضة لسام!».

أومأ قائلاً: «بدأت أوافق معك».

ردت ساخرة: «يا لعظمتك!».

تأوه جون وقال: «مولي.. بغض النظر عن الجدال القائم بيننا، دعينا

ننساه للحظة من الزمان وتركّز على هذه المسألة الأخرى، اتفقنا؟».

بغض النظر عن الجدال القائم بينهما...! إنه ليس مجرد جدال، أليس كذلك؟ لأن ما يقوم جون به هو: إما أن يوجه الإهانات إليها، وإما أن يقوم بمعانقتها. أما بالنسبة إلى مشاعرها هي... تمنت لو أنها لم تنزل إلى هنا طلباً لكوب من القهوة. وقالت بحدة: «ما هي المسألة الأخرى؟».

قال والتعب باد على وجهه: «لا تتجاهلي الأمر يا مولي. أنا أتحدث عن المكالمات الهاتفية».

اقترح بعد ذلك بحزم: «لو تسمعيني فقط. اتفقنا؟ عليك أن تسلمي بأن هذه المكالمات الهاتفية هي على الأقل مكالمات غريبة بعض الشيء».

اعترفت على الفور: «نعم».

تمتم جون بعبوس: «ثم اختفى مريلين ووجدناه محبوساً في كوخ الحديقة».

أكدت مولي على كلامه بالقول: «إلى حد ما».

أومأ جون وقال: «بالضبط».

لكنه لاحظ أن مولي تعضّ على شفتها السفلى، فسألها: «ما الذي يحدث برأيك؟».

هل تبدو تعابير وجهها واضحة إلى هذه الدرجة؟ إذا كان الحال كذلك، وعلى ضوء ما اكتشفته من حقيقة مشاعرها تجاه هذا الرجل، يجدر بها إذاً أن تبدأ بالاحتراس أكثر لهذه التعابير.

هزّت كتفيها وقالت: «من الممكن أن تكون لا شيء، إلاّ..».

توتر جون وعلّق قائلاً: «إلا ماذا؟».

ابتسمت قليلاً وشكت بأن يكونا قد وقعا فريسة الشك والارتياب. أضافت بسرعة بينما كان عبوس جون يزداد جدية: «جاءت سيارة إلى هذا المكان في وقت سابق، عندما كنتم جميعاً في الكنيسة. لكن ركابها لم يتابعوا الطريق... استداروا بالسيارة وابتعدوا ثانية».

أشرق وجهها فجأة وأضافت: «من الممكن أن تكون ديانا شيشلوم. لعلها أنهت نوبتها بسرعة فعادت إلى هنا، وبعد أن أدركت أن الوقت متأخر، غيّرت

رأيها».

أحست أنها تخمّن فقط، لذا توقفت عن متابعة حديثها.

اعترف جون ببطء: «ربما».

لكن لم يظهر ما يدل على استخفافه بتخمينها، بل أضاف: «لعله يجدر بنا أن نتصل بها هاتفياً في الغد لنعرف الحقيقة».

عبست مولي عندما لاحظت أن جون ما زال عابساً، وقالت: «جون. ما الذي يحدث برأيك؟».

أجابها بصدق: «ليس لدي أدنى فكرة».

لكن مجرد اعتقادها أن جون يظن بأن شيئاً ما يحدث، أيقظ مشاعرها السابقة بالانزعاج.

راحت تتساءل إن كان هناك أي رابط ما بين هذه المكالمات الهاتفية، والسيارة التي رأتها في وقت سابق، واختفاء مريلين. أما سبب تساؤلها هذا فلم يكن واضحاً لديها. لكن إذا كانت أفكار جون وقلقه لها ما يبررهما، فذلك يعني أنها ليست الوحيدة التي تمتلك مخيلة خصبة.

قالت بكآبة: «لعل الأمر لا يستحق الاهتمام».

أجاب موافقاً من دون اقتناع: «ربما».

سددت مولي نظرة حادة تجاهه، وقالت محذرة بنعومة: «لا أظن أنه يجدر بك أن تذكر شيئاً من هذا لكريس وسام».

رماها بنظرة ثاقبة قبل أن يجيبها: «لست بهذا الغباء».

لكنها لم تنظر إليه أبداً على أنه غبي. . بالتأكيد يتصف هذا الشخص بعدة أشياء، لكن الغباء ليس من بينها على وجه التأكيد! ندت عنها آهة عميقة ووقفت لتضع كوبها الفارغ في غسالة الصحون، ثم قالت: «أظن أنني مستعدة للتوجه إلى سريري».

رفع جون حاجباً أشقر اللون، ثم تشدق بسخرية: «هل يعني ذلك أنك سئمتِ من رفقتي؟».

لم يطل به الأمر ليعود، إلى طبيعته الغريبة الساخرة.

سددت إليه مولي نظرة موبخة وردت: «ماذا تظن؟».

ابتسم قليلاً ثم قال: «علي الاعتماد على حظي إذا كنت سأتوقع سماع كلمة غير «لا» منكِ. لكنكِ لا تستطيعين لوم رجل لو حاول التقرب منك!».

بل إنها تستطيع لوم هذا الرجل. لأنها ما إن تصبح بين ذراعيه حتى يسهل عليها نسيان كرهه لها، لذلك كان نسيان هذا الأمر أمراً مفيداً. لكن العواقب لا تبرّر هذا على وجه التأكيد.

أدركت أن عليها الانصراف. لكنها ترددت قليلاً، ثم أجابت بجدية: «أعتقد أن هذا صحيح».

ندّت عن جون ابتسامة طفيفة حالما رأى التشكيك الذي بدا على وجهها، لأن دهشتها كانت أكبر من أن تتمكن من إخفائها، ثم تمتم بصوت أجش: «تسببتُ لك بازعاج شديد في الأيام القليلة الماضية، أليس كذلك؟».

نظرت إليه بحذر، وتذكرت غضبه في وقت سابق من هذا المساء عندما تحدثت عن مشاعره تجاه كريس، وردّت عليه: «ليس أكثر من الازعاج الذي سببته لك».

وقف جون بغتة، وسارع إلى نصحها بقسوة قائلاً: «لا تدعي خيالك يجنح بك بعيداً مرة أخرى».

رفعت مولي ذقنها بحركة دفاعية، وقالت بتحدٍ واضح: «أليس هذا ما كنا نفعله بالضبط في الدقائق القليلة الماضية؟».

ومضت تقول بنفاد صبر: «ربما لا يوجد رابط بين تلك المكالمات الهاتفية، والسيارة التي رأيتها وضياع مريلين. لكن يبدو أن الأفكار والمشاعر تنطلق على سجيتها في عيد الميلاد».

هزّت رأسها بسخرية.

تحرك جون بصمت عبر المطبخ ليقف على بُعد بوصات قليلة منها، ثم تمتم بنعومة: «هل هذا ما تظنينه؟».

ومضى يسألها: «وهل هذا هو السبب الذي يدفعني إلى صفعك أو معانقتك كلما رأيتك؟ وأنا أحار في ما سأفعله حين يحدث أحد الأمرين».

www.elromancia.com

هزّ رأسه ثم أضاف بتفاؤل: «وهل يعني هذا أن كل الجنون سيتوقف في غضون يومين فقط؟».

حدقت مولي فيه وشعرت بعمق بالصمت المخيم على المنزل النائم بسكانه، لكن بدون أن تعرف مدى خطورة هذا الوضع بالذات، وخصوصاً مع إدراكها مدى حبها لهذا الرجل.

لكن ما هي مشاعر جون تجاهها؟ وماذا بشأن صفعها أو معانقتها كما ادعى، وبدون أن يكون لها خيار بين هاتين العاطفتين؟ أومأت على الفور وقالت: «أتوقع أن يحدث ذلك».

أجاب جون مركّزاً نظره عليها: «يا للأسف!».

بلّلت مولي شفتيها الجافتين، وواجهت صعوبة ببلع ريقها. ماذا يعني بقوله هذا بالضبط؟.

تنقلت نظرته فوق وجهها، ثم قال بصوت أجش: «أتعرفين يا مولي أنك رائعة جداً».

اتسعت عيناها بقلق بسبب تغير الحوار بينهما، فالتبدل من حال العدائية إلى الحميمية حدث في غضون ثوان قليلة. شعرت أن من الخطأ الاستمرار في هذا الوضع. نظرت إليه بسخرية متعمدة وقالت موبخة: «هذا ما أسمعه دوماً».

رفع رأسه نحوها، وزمّ شفتيه بينما ضاقت نظرته والتحمت بنظرتها، كأنهما يخوضان معركة إرادات ذهنية في ما بينهما. لكن، لخيبة أمل مولي، كانت هي التي انسحبت من المعركة، ونظرت بعيداً بسبب عدم قدرتها على تحمل التحدي. وكل ذلك بسبب وقوف جون على مسافة قريبة جداً منها، بحيث استطاعت أن تحسّ بحرارة جسده، وأن تتنشق القليل من عطر ما بعد الحلاقة الذي يفضّله.

مدّ يديه ليمسك بأطراف ذراعيها، وليقول بغتة: «فعلت ذلك عمداً».

حسناً! بالطبع فعلت ذلك عمداً... وإلاّ، كيف استطاعت كسر حاجز العزلة التي تعمّق في ما بينهما بهذه السرعة؟ على الرغم من ذلك، بدت وكأنها زادت الوضع سوءاً...

هزّها بلطف: «لماذا يا مولي؟ ممن تهربين؟».

حملقت فيه بقوة، وشهقت قائلة: «منك طبعاً. فلا يريحني إطلاقاً أن أكون أنا هدف صفعاتك أو عناقك».

تسمّر جون تماماً في مكانه، ثم تمتم من أعماق حنجرته: «أريد معانقتك في هذه اللحظة».

أنّت وهي تقول: «أعرف».

أدركت هذا الواقع في الدقائق القليلة الماضية. وبالطبع، من الحماقة ألاّ تدركه. لكن إلى أين سيوصلهما ذلك؟ فهي تعرف أنهما لن يصلا إلى أي مكان، وهذا ما يدعوها إلى منع حدوث ذلك. لكنها، في الوقت نفسه، تتوق كثيراً كي يعانقها!

- مولي...!

وجد جون نفسه يتمتم باسمها بصوت أجش قبل أن يطوقها بذراعيه، ويغرقها في عناق طويل.

إنه على حق. هذا هو الجنون بعينه! لكنه ذلك النوع من الجنون الذي عجزت عن إيقافه، تماماً مثلما بدت عليه حال جون. تحركت يداها نحو كتفيه، وتشابكت أصابعها مع شعره الأشقر الغزير.

أدركت مولي بانشداه بأن هذه العواطف كانت كامنة في داخلها. أما مقاطعة سام لهما في وقت سابق فكانت تأجيلاً لمشاعر يبدو أن كليهما عاجز عن مقاومتها.

رفع جون رأسه قليلاً لينظر إليها، ثم راحت أصابعه تلامس جبهتها، وتمتم بحرارة: «لماذا نكون في المطبخ دائماً عندما أعانقك؟».

شعرت أن هذا الرجل يملأ كل عصب من أعصاب جسدها، ففترت بصوت أجش: «ربما لأنه المكان الأكثر دفئاً من بين غرف المنزل».

مع هذا السكون الذي يملأ المنزل، شعرت بأنهما الإنسانان الوحيدان اللذان يعيشان على سطح هذا الكوكب. اقترح جون بتهذيب: «دعينا نذهب إلى غرفة الجلوس».

أمسك يدها واستدار كي يغادر المطبخ، إلاّ أن مولي ترددت قليلاً. فهذا جون.. الرجل الذي لم يعبّر عن شيء أكثر من كراهيته لها. هزّت رأسها وقالت: «جون، لا أظن...».

شجعها بصوت أجش: «لا... لا تظني شيئاً».

والتفت ليحيط وجهها بيديه بدفء قبل أن يتابع قائلاً: «في كل مرة نبدأ فيها بالتفكير، سواء فكرنا معاً أم بشكل إفرادي، تسوء الأمور فجأة».

انحنى ليواجهها بنظراته، بعد أن شدّد عليها بنبرة مقنعة: «لا تفكري بشيء يا مولي».

لم تستطع الاستمرار بالتفكير، خصوصاً بعد أن عانقها بمثل هذه القوة. تبعته بصمت ما إن استدار مجدداً ليغادر المطبخ.

- بدوتِ رائعة جداً هذه الليلة بذلك الفستان الأحمر.

أبلغها ذلك بصوت أجش بينما راحت أصابعه تسرح خصلات شعرها بلطف. ثم أضاف بألم قبل أن تلتف ذراعاه حولها مرة أخرى بقوة: «لكن كل ما رغبت فيه طيلة هذه الأمسية هو أن أعانقك كما أفعل الآن!».

ما إن سمعت مولي اعترافه حتى قفز قلبها بين ضلوعها.

تحركت يداها فوق صدره، فتوترت عضلاته تحت أطراف أصابعها. أما هو فكان يضمها إليه بشوق وحنان لم تعهدهما فيه قبل الآن.

عندما نزلت مولي إلى الطابق السفلي، كان جلّ ما فكرت فيه هو شرب كوب من القهوة بسرعة. ولم تتصور قط أن يكون جون أيضاً غير قادر على الاستسلام للنوم، ما يجعله ينزل إلى المطبخ هو أيضاً، فيلتقيان معاً...

قال جون بصوت أجش: «يعلم الله كم رغبت في عناقك. كاد الشوق إليك يمزقني...».

توقف عن كلامه فجأة، ثم عبس متابعاً بنبرة ملؤها الحيرة: «ما هذا؟».

عبست مولي أيضاً لأنها أحست بضوضاء غامضة في مكان ما من المنزل.

قال جون باستغراب: «هل هناك عربة تجرها ثمانية غزلان على السطح؟».

ابتسمت مولي بتردد، لكنها أجابت بكآبة: «أشك في ذلك كثيراً».

كانت تدرك مدى قربهما الآن، إذ كان جسمها النحيل مستكيناً بقربه، كأنه وجد أخيراً المكان الذي ينتمي إليه حقاً.

هزّ جون رأسه متحيراً وقال: «وأنا أيضاً، لكن ما هو...؟».

قطع كلامه ما إن سمع صوت نباح عال كسر فجأة السكون المخيم حولهما.

جهدت مولي لتقف على قدميها، وقالت بقلق: «إنه مريلين».

وقف جون ومشى بتثاقل ليغادر الغرفة، كل ما فكر فيه في تلك اللحظة هو إسكات الكلب. وقال: «أعرف ذلك. وبحق السماء! إذا لم يتوقف النباح، فسيوقظ كل النائمين في هذا المنزل بغضون دقيقة!».

احتاجت مولي وقتاً أطول لتستعيد توازنها بدون أن يفارقها ارتجافها، بينما راقبت جون وهو يغادر الغرفة.

وبالنسبة إليها، بدت عبارة «أنقذها الكلب» أكثر تشبعاً بالمعاني من القول المأثور. لكنها كانت الحقيقة بعينها، فلو لم يبدأ بالنباح بهذا الشكل ليكسر الجو الحميم الذي ساد بينهما، لما تمكنت من كتمان مشاعرها عن جون لوقت طويل بعد.

١١ - لست طفلة!

يبدو أن جون لم يفلح كثيراً بإسكات مريلين، لأن صوت نباح ذلك الكلب تداخل مع أصوات دمدمة أخرى. لكن هذه النغمات المتنافرة أصبحت مدوية أكثر أثناء إسراع مولي بالمشي إلى المطبخ.

كان مريلين يخدش باب المطبخ من الداخل عندما دخلته مولي، بينما انهمك جون بمحاولة تهدئته، بدءاً من التحدث إليه بشكل هادىء إلى رفع صوته بحدة، أو التربيت على ظهر هذا الكلب لإسكاته. لكن هذه المحاولة أدت إلى عكس المراد منها، لأن مريلين راح يدمدم بصوت أعمق مكشراً عن أسنانه دلالة على استيائه. قالت مولي محاولةً تفسير ما يجري: «إنه يريد الخروج».

التفت إليها جون مدمدماً، ثم قال بخيبة أمل: «أعلم ماذا يريد يا مولي».

لكنه أضاف ببطء: «لكني لا أظن من الصواب تركه يخرج».

نظرت إليه بعبوس وأجابت: «ولِمَ لا؟».

- لأنه... فقط لأنه...

وقف جون لينظر إلى الكلب نظرة محبطة بعد أن عدل عن إتمام كلامه، لكن الكلب استمر بخدش الباب باهتياج شديد، فقال جون: «أعلم أنه منزل كبير، ومع ذلك ليس لديّ أدنى شك بأنه أيقظ الجميع في هذا الوقت».

دمدم سام فور دخوله إلى المطبخ: «هذا ما فعله في الواقع».

بعد ذلك أمر الكلبَ بحدة: «أسكت يا مريلين».

ولدهشة الجميع سكت الكلب الضخم ولزم الهدوء، مع أنه ظل واقفاً وهو يلهث بشدة ويتطلع إلى الباب.

كان سام ملتفاً برداء حمام فأسرع يمرر يده على شعره الأشقر، ثم هزّ رأسه

المتعب وقال: «يا له من عيد ميلاد سيء!».

قال جون موافقاً بجدية: «أليس كذلك؟».

لم تنظر مولي نحوه، أو بالأحرى لم تستطع النظر نحوه، لكنها أدركت مع ذلك أن هذه الملاحظة الأخيرة موجهة إليها كما هي موجهة إلى سام.

كان عيد الميلاد هذا سيئاً بما فيه الكفاية بالنسبة إليها أيضاً، لا سيّما أنها لا تعرف كيف سينتهي. لكن لا بد من وضع حد للأمور، سواء وجدت حلاً للوضع القائم بينها وبين جون أم لا.

- ما خطب هذا الكلب؟

عبس سام وهو يرى الكلب منبطحاً على الأرض وقد ألصق أنفه بالباب، بينما بدأ بالهمهمة مجدداً.

وقف جون ثم هزّ كتفيه وقال: «لا بد أن شيئاً ما في الخارج قد أزعجه، قد تكون قطة أو ثعلباً».

بدا سام وكأنه ينظر إلى جون ومولي للمرة الأولى. عبس متأملاً ثيابهما وقال: «فهمت الآن. هرعتما إلى هنا في محاولة لتهدئته قبل أن يستيقظ الجميع».

- نعم.

- لا.

قطعت مولي على جون محاولة التهرب المتعمد من الحقيقة. شعرت بالحرارة تغزو خديها عندما راح ينظر إليها بعبوس، وينظر باتجاه سام بتساؤل. وما لبثت أن نظرت إلى جون نظرة ذات مغزى، كأنها تقول إن اتباع سياسة قول الحقيقة هي الأفضل دائماً. أشارت إلى إبريق القهوة الذي ما زال ساخناً: «كنا هنا نرتشف كوباً من القهوة».

فسام يعلم جيداً أن هذا الإبريق كان بارداً عند توجهه إلى سريره قبل ثلاث ساعات، ومولي نفسها رأته يتأكد من ذلك. أضافت مولي بكآبة: «ويبدو أن مريلين أصبح شرساً فجأة».

ندت عن سام آهة متعبة، وقال بشيء من التشكيك: «حسناً! حسنا! يبدو

www.elromancia.com

أنه قد هدأ الآن».

بقي مريلين رابضاً قرب الباب، لكنه بدا أفضل حالاً. ابتسم سام قليلاً وقال: «ستعودان إلى النوم كما أظن».

ثم تابع كلامه بجدية قائلاً: «لعلنا جميعاً نستطيع الحصول على ساعتين إضافيتين من النوم قبل حدوث الإزعاج التالي».

لم تكن مولي بحاجة إلى دفعة أخرى من الإزعاج كي تدرك أنها لن تحصل على أي قسط من النوم هذه الليلة، فأفكارها حول جون، والحميمية التي تقاسماها، كانتا كافيتين لإبقائها مستيقظة لمدة أسبوع كامل.

قالت أثناء صعود الثلاثة إلى الطابق العلوي: «كيف حال بيتر؟».

ابتسم سام قليلاً، وأجاب: «يبدو من السخافة أن نقول «إنه ينام كطفل» لكن ذلك هو ما يفعله بالضبط. إنه بخير».

أكّد ذلك بحرارة قبل أن يتابع كلامه برصانة: «لكن... إذا بقي مريلين في حالته هذه، سأجد نفسي مضطراً إلى تهدئته في الخارج بدلاً من إبقائه داخل المنزل».

لم يبدُ سام سعيداً بهذه الفكرة. إلاّ أن جون سارع إلى طمأنته قائلاً: «أنا متأكد من أن ذلك لن يتكرر مرة أخرى».

ثم التفت إلى مولي عندما وصلوا إلى نهاية القسم الأول من الدرج، وقال: «طابت ليلتك يا مولي».

اتسعت عينا مولي بسبب هذه الحيلة الواضحة للتخلص منها. فغرفة النوم التي يحتلها جون تقع في الطابق نفسه حيث تقع غرفتها... إذاً، كان من الطبيعي أكثر أن يتمنى كلاهما ليلة سعيدة لسام، ثم يمضيا معاً.

- طابت ليلتك.

قالت ذلك بغتة من دون أن تنظر إلى أي من الرجلين ثم أسرعت لتصعد القسم الثاني من الدرج، وتهرع إلى غرفة نومها مغلقة الباب بحزم وراءها، وتستند عليه قليلاً.

كيف يستطيع أي شخص أن يكون متقلباً مثل جون؟ تارة يقول لها كم هي

جميلة وكم يشتاق إليها، وتارة أخرى يتمنى لها ليلة طيبة بنبرة باردة كالثلج... بالطبع، جون يستطيع أن يكون هكذا إذا كان قد ندم على ما حدث بينهما.

حسناً! هي أيضاً ندمت على ما حدث، لكن ليس بقدر ما ندمت على وقوعها في غرامه..

* * *

- أنا أحب أعياد الميلاد، ألا تحبينها أنتِ أيضاً؟

قالت كريس ذلك والسعادة البالغة ظاهرة على وجهها في صباح اليوم التالي، عندما التقى الجميع في غرفة الجلوس لفتح الهدايا التي تجمعت تحت شجرة العيد.

أما سبب اجتماعهم فكان سام الذي جال على الممرات ليطرق أبواب غرف النوم كي يوقظ الجميع بصرخته: «حان وقت الاستيقاظ، فسانتا كلوز سبقكم».

بدا الجو محبباً، لأن سام سارع إلى إيقاد النار في المدفأة قبل أن يتوجه لإيقاظ الجميع. كانت أضواء مصابيح الزينة تتلألأ على الشجرة، ولاحظ الجميع تساقط الثلج الناعم عندما نظروا من خلال النوافذ الواسعة.

ردت مولي موافقة بنبرة دافئة مصطنعة: «أنا أحبها أيضاً».

نظرة واحدة باتجاه جون كانت كافية... بدت تعابير وجهه أقل من مشجعة، وها هو جون على حقيقته المعتادة. أما الرجل الدافىء اللطيف الذي رأته البارحة فقد اختفى تماماً.

ناولها سام علبة ملفوفة بطريقة جميلة، بينما وقف آخذاً دور سانتا كلوز ليوزع الهدايا، وقال لها: «هذه لكِ».

أظهرت لها النظرة السريعة التي ألقتها على البطاقة أن تلك الهدية من دافيد.

نظرت مولي إليه قبل أن تفتح العلبة.

- لا تلوميني.

حذرها دافيد ضاحكاً أثناء تقدمه لينضم إليها، وتابع قائلاً: «سألت كريس فأخبرتني أنكِ تجمعينها!».

www.elromancia.com

أما والحالة هذه، فقد فهمت مولي ما هي الهدية بالضبط، فاستغرقت بالضحك أثناء فتحها الهدية قبل أن ترى خنزيراً صغيراً يحمل وردة حمراء في قدمه.

ابتسمت بوجه دافيد قائلة: «هل عليّ الآن أن أشعر بالذنب لأنني لم أجلب لك سوى كتاباً؟».

قابلها بابتسامة وقال: «أي نوع من الكتب؟ لعلك لن تسمعي مني أي شيء جدي لبقية عيد الميلاد. حسناً! حسناً!».

استغرق دافيد بالضحك عندما ناولته مولي ذلك الكتاب المليء بالفكاهة، وتابع معترفاً: «لعلك لن تسمعي مني أي شيء جدي على أية حال».

مازحته قائلة: «وهل قلت أنا أي شيء من ذلك؟».

أجابها دافيد بجدية: «بدون شك».

تساءلت عن السبب الذي يجعل من ممازحة دافيد والضحك معه أسهل كثيراً من ممازحة جون، وهو الرجل الذي تحب. لعل السبب يرجع إلى أنها واقعة في غرامه فعلاً، كما اعترفت لنفسها بكآبة. أما هي فلم تكن تعرف مشاعره نحوها إطلاقاً. ولو كان لها أن تحكم عليه من عبوسه في وجهها، فستقول إنه أصبح يكرهها أكثر من أي وقت مضى بعد ما حدث الليلة الماضية بينهما.

ناولها سام علبة ثانية قبل أن يستأنف واجباته في تقديم الهدايا للحاضرين، وقال: «هذه هدية أخرى لكِ».

ما إن بدأت مولي بقراءة البطاقة المرفقة مع الهدية حتى شعرت بيدها ترتجف. كانت البطاقة تقول: «إلى مولي، من جون» هكذا بدون زخارف ولا تكلّف، ولا حتى كلمة «مع حبي» أو «مع أفضل التمنيات» وكم كانت تفضل رؤية عصفورين لطيفين فوق ورق الهدية بدلاً من رؤية أجراس فضية باردة.

ذلك يعني أنها لم تكن مستعدة إطلاقاً لرؤية شال الكشمير الجميل الذي وجدته داخل العلبة. بدا الشال ناعماً ذا ملمس حريري، لكن الأهم من ذلك هو لونه الزهري الداكن وهو اللون الذي أكّد لها جون بأنه لا يناسب شعرها

الأحمر. قال لها: «هذا اللون الزهري يتناسب مع بذلتك التي كنتِ ترتدينها يوم الأحد».

نظرت مولي بحدة إلى جون وهو يتكلم، بينما أمسكت الشال بيدها بشدة. وكانت حتى ذلك الوقت غير منتبهة لدخوله إلى الغرفة ليقف بجانبها.

بلعت ريقها بصعوبة ثم أبلغته بصدق: «إنه جميل. شكراً لك».

تراقص شبح ابتسامته على شفتيه، وقال: «هل وجدتِ صعوبة في قول هذا؟».

هزّت كتفيها وقالت: «بعض الشيء».

اتسعت ابتسامته وتابع: «هذا أمر هام على ما أفترض».

إنه كذلك بالفعل إذا ما أخذنا بعين الاعتبار دهشتها لاستلام هذه الهدية منه، وقوله في وقت سابق عن شرائها هدية له بأنها «غير شخصية». ومع ذلك فقد اختار لها هذا الشال ليتناسب مع لون بذلتها، ولا يمكن أن يضع هديته في تلك الخانة.

وقفت كريس لتعلن بلباقة: «أعتقد أن وقت الفطور قد حان».

- سآتي وأساعدك.

عرضت مولي مساعدتها على الفور، وبدا أنها ممتنة لهذا العذر كي تقف وتكسر جو الحميمية هذا الذي بدأ بالنشوء بينها وبين جون.

قال جون بحزم: «كلنا سنساعدك. نعلم أنكما تستطيعان القيام بالعمل وحدكما، لكن ذلك لا يعني أن عليكما القيام بكل الطبخ في هذا المنزل».

اعترفت مولي بكآبة في قرارة نفسها أن هذا أشبه بالإطراء لطريقة طبخها لوجبة الأمس، وهو أقصى حد من الإطراء يمكنها الحصول عليه من جون.

توقفت كريس لتقول ضاحكة: «أوه، لا تهتموا لذلك، فأنتم لن تجلسوا هنا لتضيعوا الوقت هباءً. باستطاعتكم أنتم الثلاثة أن تسلّوا بيتر لمدة نصف ساعة».

أدركت مولي بسهولة عندما تبعت كريس إلى المطبخ بأن سبب طلبها للمساعدة هو إفساح المجال أمامهما لتثرثرا لوحدهما. فلا بد أن سام أخبر

كريس أن مولي وجون كانا في الطابق السفلي أثناء الليل، ولا بد أن صديقتها تريد أن تعرف كافة التفاصيل.

لكن مولي لم تنوِ الإفصاح عن هذا السر لأي شخص، ولا حتى لأفضل صديقاتها.

ما إن أصبحتا داخل نطاق الأمان والسكون الذي يوفره المطبخ لهما، حتى أسرعت كريس لتشجيع مولي على الكلام قائلة لها: «هيا! هاتي ما عندك».

تأوهت مولي لأنها أدركت أن تظاهرها بعدم معرفة ما تتحدث عنه صديقتها هو مجرد مضيعة للوقت، فلا بد أن كريس صممت على انتزاع هذه الأخبار منها. لذا هزّت كتفيها وردت عليها: «لم أستطع النوم فنزلت إلى الطابق السفلي لتناول بعض القهوة. وحدث الأمر نفسه مع جون بعد نصف ساعة».

انتصبت كريس واقفة بعد إخراجها البيض من البراد، ونظرت إلى مولي نظرة تأنيب، قائلة بتهكم: «أهذا كل ما حدث؟».

- تقريباً.

صممت مولي على تركيز انتباهها على تحضير مائدة الطعام، إذ لا داعي لأن تعرف كريس المزيد من التفاصيل. لكن بدا من الواضح أن كريس لم تكن من رأيها، لأنها حثتها قائلة: «حسناً؟».

أجابت مولي بدون اكتراث: «حسناً! لا شيء. شرب كلانا كوباً من القهوة، وبعد ذلك بدأ مريلين بالنباح».

لكن مولي شعرت أن قلبها يتراقص بين أضلعها، ورجليها ترتجفان تأثراً.

وجهت كريس إليها نظرة متعبة وعلّقت قائلة: «بصراحة، أنا لا أفهمكما. فجون جذّاب وأنت جميلة أيضاً...».

تقبّلت منها مولي إطراءها، وردّت عليها بالقول: «شكراً لك».

لكنّ كريس تابعت تقول معلنة خيبة أملها: «... بإمكانكما أن تتبادلا بعض الإطراء على الأقل.. ولو لإرضاء ميولي الرومانسية!».

قالت مولي بدون اكتراث: «آسفة».

وقبل انصراف كريس لتحضير لوازم الفطور الأخرى، قالت: «اخفقي هذا البيض من فضلك».

تمنت مولي لو أنها تستطيع تحويل ارتعاشات قلبها بالسهولة التي تمكنت فيها من تحويل اهتمام كريس، لكن لا يمكنها خداع قلبها بهذه السهولة. فهي تعلم بما لا يدع مجالاً للشك أنها واقعة في غرام جون.

هنأت نفسها على نجاحها في إخفاء مشاعرها أثناء ذلك اليوم، أما جون فبدا مصمماً على تحاشي رفقتها أيضاً. وفي واقع الأمر لم يتبادل الاثنان أكثر من كلمات قليلة من فئة الكلمات المهذبة.

أفادت هذه الهدنة مع جون بإعادة بناء خطوطها الدفاعية، فهذه الخطوط تضررت كثيراً خلال تقاربهما الليلة السابقة. استطاعت مولي أن تشعر بأنها استعادت رباطة جأشها إلى درجة أنها لم تجد لديها مانعاً من الانضمام إلى جون وسام أثناء اصطحابهما مريلين في جولته المسائية. في الواقع رحبت مولي بالفرصة المتاحة لها لتنشق بعض الهواء النظيف بعد يوم قضته في تناول الطعام، وتبادل الأحاديث، ومشاهدة البرامج الخاصة بالمناسبات في التلفزيون، مثل حلقة بايلي الخاصة بعيد الميلاد وبرامج أخرى.

لكنها أدركت من العبوس الذي ظهر على وجه جون أنه كان يفضل لو لم تنضم إليهما في هذه النزهة. حسناً! لسوء حظه أن سام أخوها، واحتفال عيد الميلاد هذا يشملها هي أيضاً.

مشى الثلاثة في الخارج بسكون تام لبعض الوقت، وكان ضوء القمر المنعكس على الطبقة الرقيقة من الثلج يزيد من صفاء هذه الليلة. فجأة قال سام بجدية: «أنا سعيد لأنك قررت الانضمام إلينا يا مولي. أخبرني جون عما حدث بينكما في الأيام القليلة الماضية، وأعتقد أنك يجب أن تعرفي...».

قاطعه جون بحزم وقوة: «أنا أخالفك الرأي يا سام، وفي الواقع لا أعتقد أن التحدث عن هذا الموضوع هو فكرة جيدة».

التفت سام بعبوس إلى الرجل الآخر وقال: «ولِمَ لا؟».

- لأنني لا أعتقد ذلك.

بدت التعابير التي ارتسمت على وجه جون رهيبة، وارتسمت الزوايا الحادة على وجهه المضاء بنور القمر.

أما مولي فشحب وجهها واختفت الألوان من خديها بسبب الحديث الذي بدأه سام. فكيف تجرأ جون أن يخبر أخاها عمّا حصل بينهما خلال الليل؟ كيف أمكنه ذلك؟

قال سام لجون بسخرية: «أنا لست من رأيك يا جون. أعرف أنك متحفظ، لكن مولي ليست طفلة».

شعرت مولي بالإهانة لمجرد تفكيرها أن جون قد تحدث بشأنها مع أخيها غير الشقيق، من بين كل الناس، فقالت: «بالطبع».

لو كان إنساناً مهذباً على الأقل، لما أقدم على التحدث عما جرى الليلة الماضية مع أي شخص.

- مولي...

قاطعت حديثه المهدىء بنفاد صبر قائلة: «أوه. إنسَ الأمر يا سام».

وفجأة، شعرت باللون يرجع إلى خديها بينما التفتت لتحدق بجون في هذه الليلة شبه المظلمة، ثم قالت بنبرة غاضبة: «قال لك جون الكثير على ما يظهر».

- مولي...

أبقت مولي نظرتها مركزة على جون وقالت ببرود: «لا شأن لك بهذا يا سام».

ثم تابعت كلامها بنبرة اتهامية: «إنك، من دون شك، رجل كريه ومن أكثر الرجال غروراً واعتداداً بالنفس من بين الذين التقيتهم في حياتي، لسوء حظي».

عاد سام يقول: «مولي، أرجوك. دعيني أشرح لك الأمر...».

قاطعه جون: «اتركها يا سام».

أصبحت تعابيره أشد عبوساً الآن بعد خطبة مولي الاتهامية، وأصبح وجهه داكناً على الرغم من ضوء القمر. قال: «أنا متأكد أن مولي تشعر بأن لها الحق التام في التعبير عن رأيها بي».

- نعم، لكن...

ثبتت مولي يديها إلى جانبيها في هذا الوقت وردّت: «بالطبع، لدي الحق في ذلك، لكن كلمة مغرور لا تبدو كافية لتعبّر عما أنت عليه».

ابتسم جون من دون مرح، ثم تشدق بجدية: «الصفتان الأخريان هما معتد بنفسي وكريه».

أكدّت له بتأنيب: «أوه، أستطيع أن أتابع، لكن لا تقلق! لن أفعل ذلك».

وجهت إليه نظرات قاسية وخصوصاً عندما لاحظت مدى الخيبة التي ظهرت على وجه سام. ثم أبلغتهما فجأة: «سأعود إلى المنزل الآن».

واستدارت على أعقابها لتمشي بسرعة مبتعدة عنهما. فيما بدأت الدموع تتساقط بحرارة على خديها ما إن ابتعدت بضع خطوات، وما لبثت أن بدأت بالركض بدل المشي نحو المنزل.

كيف أمكنه أن يفعل ذلك؟

١٢ - لئلا يفوت الأوان

- لكن لا يمكنك المغادرة الآن.

أعربت كريس عن اعتراضها وخيبة أملها عندما لحقتها مولي في اليوم التالي، وأخبرتها عن نيتها القيام بذلك بالضبط. أضافت مشككة: «ما زلنا في يوم الإهداء».

بالطبع، تعرف مولي المعاني التي يحملها ذلك اليوم، لكنها تعرف أيضاً، بعد ليلة أخرى من القلق، أنها لا تستطيع البقاء هنا لدقيقة أخرى، وأن كل ما عليها أن تفعله هو العودة إلى شقتها التي استأجرتها في لندن لتحصل على النوم الذي تحتاجه بشدة.

إلاّ أن سبب مغادرتها المعلن هذا كان بعيداً عن السبب الحقيقي الذي توصلت إلى معرفته بعد ساعات الليل التي أمضتها مستيقظة... وهي لن تغفر لجون أبداً بوحه لسام بأسراره. فالمهانة التي شعرت بها ذلك المساء كانت كبيرة، لا سيما بعد رجوع سام وجون إلى البيت وتجاهل جون لها. في ذلك الوقت جلست لتتحدث إلى دافيد.. على الأقل، حاولت التحدث مع دافيد.. أما في داخلها فشعرت باضطراب كبير منعها من التفكير السليم، وذلك قبل أن يعتذر هذا الأخير ويتوجه إلى غرفة نومه في الطابق العلوي.

انتظرت مولي فترة أخرى قبل أن تفعل الشيء نفسه، وشعرت بارتياح كبير في العزلة التي وفرتها لها غرفة نومها ما خفف قليلاً من جروحها.

أكدّت مولي لصديقتها من دون اكتراث: «أعلم أي يوم هو يا كريس. لكن طريقي طويلة، وحركة السير في الطرقات ستكون أفضل هذا اليوم، وما زال لدي العديد من الحقائب لأفرغها».

وعلت وجهها ابتسامة ما إن تذكرت الفوضى التي خلّفتها وراءها في شقتها الجديدة في لندن. بدت كريس غير مقتنعة بهذه الحجج، فعبست وقالت: «لكننا ما نزال في عيد الميلاد».

حاولت مولي تبرير موقفها فقالت متملقة: «مضى على وجودي هنا أربعة أيام حتى الآن يا كريس. كما أن لديكم ضيوفاً سيمكثون لعدة أيام أخرى».

أصبح صوتها أكثر قسوة لمجرد تذكرها أن جون هو واحد من هؤلاء الضيوف... وهذا هو السبب الحقيقي لمغادرتها المفاجئة...

- أعرف ذلك...

التفتت كريس إلى زوجها فور دخوله المكان بعد انتهائه من التنزه مع مريلين، ورجته قائلة بإحباط: «سام حاول إقناع مولي.. إنها تعتزم المغادرة هذا اليوم».

شعرت بحمرة الخجل تتصاعد إلى خديها عندما توقف سام ليخلع معطفه وينظر إليها بدهشة واضحة. لكنه يجب أن يدرك، بكل بساطة، أنها لا تستطيع البقاء ولو للحظة أخرى، كما فكرت.

تمتم أخوها غير الشقيق ببطء: «أحقاً؟».

رددت كريس وراءه بنفاد صبر: «حقاً».

ثم حثته بقوة قائلة: «تحدث إليها يا سام».

لم تكن مولي سعيدة بإفساد احتفال الجميع بعيد الميلاد بهذه الطريقة، لا سيما أنها تعرف مدى تعب كريس في هذا العيد، لكنها تدرك في الوقت نفسه أن التوتر المتصاعد والناشئ بينها وبين جون سيفسد هذا الاحتفال على أية حال، ولأنها شكّت بنية جون التحرك بعيداً عن المكان، لذا وجدت أن من الأجدى أن تغادر بنفسها...

قال سام بهدوء: «مولي؟».

أبلغته بسخط: «سام! أنت تعرف سبب نيتي المغادرة».

لكنه قال ببطء: «لا! لا أظن أنني أعرف. كريس، عزيزتي...».

ثم التفت إلى زوجته مبتسماً، وتابع: «أتمانعين لو أخذت مولي إلى مكتبي

لفترة قصيرة؟».

أكّدت له كريس: «إذا استطعت إقناعها بالبقاء فتستطيع احتجازها هناك طيلة ا لنهار. وفي الواقع، يمكنك أن تحبسها هناك حتى توافق على البقاء».

ضحك سام بحرارة، وحتى مولي وجدت نفسها تبتسم حيال خيبة أمل صديقتها الواضحة جراء تكرار رغبتها بالمغادرة هذا اليوم. لكن مهما كانت كلمات سام، فلن تحملها على تغيير رأيها أبداً...

سأل جون فور دخوله إلى المطبخ: «هل سيغادرنا شخص ما؟».

تسمّرت مولي في مكانها عندما سمعت صوته. حافظت على جدية تعابيرها عندما التفتت لتنظر إليه، وتبلغه تصميمها على المغادرة فقالت: «أنا».

نظرت إليها عينان زرقاوان بهدوء للحظات طويلة، ثم تمتم ببرودة: «إن مغادرتك الآن هي نكران للجميل، أليس كذلك؟ خصوصاً بعد كل الأشياء التي قدمها سام وكريس لنا جميعاً».

شعرت بالحرارة تغزو خديها بسبب هذا التوبيخ الواضح. لكن... هو بالتحديد عليه أن يعرف سبب عدم قدرتها على البقاء لوقت أطول.

أكدت له كريس: «لا تفكر بذلك يا جون، فمن دواعي سرورنا تواجدكم جميعاً هنا. لكن الأمر...».

ابتسمت قليلاً ثم أضافت بثقة: «سيحاول سام إقناعها بتغيير رأيها».

تمنت مولي لو أنهم يتركونها تغادر، ويتوقفوا عن التسبب بكل هذا الضجيج حول مغادرتها.

قال جون متبرعاً: «دعوني أتحدث إليها».

آه! هذا كثير جداً في هذه الظروف...

قالت باستياء: «لا أظن بأنني أريد هذا. شكراً».

إنه آخر شخص تريد التحدث معه... وهو آخر شخص يمكنه إقناعها بالبقاء في هذا المكان، ولو ليوم آخر.

تجاهل جون اعتراضها كلياً أثناء التفاته إلى الناحية الأخرى، وقال: «سام، سمعت صوت بيتر وهو يتحرك أثناء نزولي الآن. وبما أن كريس

مشغولة بتحضير الغداء... تعالي يا مولي».

أمسك ذراعها بحزم، وبدأ الخروج من المطبخ. حاولت مولي تحرير ذراعها وقالت: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

أبقى جون قبضته الشديدة على ذراعها، ثم نصحها ببرودة: «كفّي عن مجابهتي يا مولي، سوف تنتهين بأن تؤذي نفسك».

- تقصد القول بأنك أنت من يؤذيني.

لم تتوقف مولي عن محاولة تحرير ذراعها من قبضة أصابعه بعد أن وجهت إليه هذا الاتهام الغاضب، لكنها لم تفلح في مسعاها، ومع ذلك لم يمنعها فشلها من الاستمرار في المحاولة. توقف جون بغتة، وأجبرها على مواجهته في الممشى ثم قال بقسوة: «أنا..».

ومضى مطالباً أياها بنفاد صبر: «ماذا فعلت لأؤذيك بحق السماء؟».

ماذا فعل؟ عانقها حتى أصابها بالدوار، وأظهر حبه لها، وجعلها تقع في غرامه...

كانت تتنفس بصعوبة بسبب غضبها، فقالت: «ليس لديّ ما أقوله لك على الإطلاق».

جرّها جون إلى غرفة الجلوس، ثم أطلق سراح ذراعها أخيراً، وأغلق الباب خلفه بحزم قبل أن يقول بقسوة: «لسوء الحظ، لأن لدي بعض الأشياء، لأقولها لك!».

كانا في الغرفة نفسها التي تعانقا فيها بقوة في تلك الليلة.

أدارت مولي ظهرها للأريكة، ولتلك الذكريات المثيرة للاضطراب، ثم حلقت بجون قبل أن تتحداه وترفع ذقنها عالياً في خطوة دفاعية وتقول: «ابق بعيداً!».

تقبّل كلامها بمرارة، وابتعد عنها قليلاً ليضع يديه في جيبه ويقول: «لا أعتقد أن ذهابك الآن من هنا هو فكرة صائبة...».

أبلغته بتشكك: «يا للمفاجأة! فأنا لا أكترث بما تعتقده!».

- مولي، هناك أمور تحدث...

توقف قليلاً، وتأوه بسبب هذا الوضع المعقد، ثم تابع وهو يهز رأسه: «أفضّل ألاّ أفصح عن ذلك في هذا الظرف».

أكدت مولي بنبرة تأنيبية: «ذلك لأنه ليس لديك أي شيء كي تشرحه. أعرف أنك ارتكبت غلطة عندما عانقتني في تلك الليلة».

- أهذا هو تصوّرك عن الوضع؟

ضاقت عيناه الزرقاوان، بينما ظهر عصبٌ ينبض في فكه المشدود.

قالت مولي بمرارة: «وماذا هناك أكثر من ذلك؟ لكن، لا عليك. لا تقلق بشأن ما حدث في تلك الليلة يا جون. أستطيع أن أؤكد لك ذلك. هذا من جهة، ومن جهة ثانية أفضّل كثيراً أن تنسى بأن شيئاً قد حدث بيننا».

أخذ جون نفساً عميقاً، وقال: «أتظنين أنني لا أعرف ذلك؟».

ثم قال بنبرة اتهامية: «بدا ذلك واضحاً جداً من طريقة تجنبك رفقتي منذ ذلك الحين».

قالت مولي مؤنبة: «لكن ماذا تريدني أن أفعل؟ أتهالك عليك كما تفعل بعض الحمقاوات المتيمات؟».

وجّه نحوها مجدداً ابتسامة غير مرحة، وقال: «يبدو هذا طلباً فيه مغالاة».

شعرت أن حنقها يزداد عمقاً لأن هذا بالضبط ما كانت تتمنى فعله، لكنها قالت: «أنت على حق».

إن النظر إلى هذا الرجل والتواجد معه يبرهنان لها كم تحبه، وكم تريد أن ترتمي بين ذراعيه وتحمله على إبلاغها أن كل شيء على ما يرام، وأنه غارق في حبها أيضاً...

لكنها لم تعد تصدّق تلك القصص منذ وقت طويل، وهي تعرف جيداً أن جون لا يحبها. جل ما في الأمر هو أنه يرغب في معانقتها لأنه يجدها امرأة جميلة. فبعدما حدث تلك الليلة، لا يمكنه إنكار ذلك.. لكن هذه المشاعر كانت غريبة عنه، وهو يجهد في محاربتها على الدوام. وهو ينجح بهذا معظم الأوقات...

ندّت عنه آهة عميقة وقال: «حسناً! أتقبّل أنك تريدين أقل احتكاك بيننا

قدر الإمكان. لكن هل أنت مضطرة إلى المغادرة لتحقيق هذا الهدف؟ ظننت أننا نبلي حسناً بتجنّب بعضنا البعض في الساعات الأربع والعشرين الماضية».

وفي الواقع، هذا ما فعلاه بالضبط. لكنها لم تعد متأكدة من أنها تستطيع المحافظة على رباطة جأشها والتظاهر بأنها لا تكترث أبداً.

لكن، هل ستتمكن من نسيان حبها له عندما تصبح وحيدة في شقتها في لندن؟ الجواب عن هذا السؤال هو «لا» بالتأكيد.

- لا أريد أن أبقى هنا.

لكن صوتها لم يكن مقنعاً مثلما كان قبل دقائق قليلة.

تأوه جون وقال: «كلامك ليس صحيحاً، وأنت تعرفين ذلك. الحقيقة هي أنك لا تريدين البقاء حيثما أكون. لذا يصبح السؤال: «هل تريدين أن أغادر أنا؟».

اتسعت عيناها دهشة، فسألته: «هل أنت جديّ بهذا العرض؟».

زمّ شفتيه وأجابها: «نعم، أنا جديّ تماماً».

حدّقت فيه مولي للحظات. هل سيُقدم على ذلك فعلاً؟ ولكي تكون دقيقة أكثر.. هل تستطيع أن تطلب منه هذا الطلب؟

قبل ثلاثة أيام، عندما علمت لأول مرة أنه سيكون ضيفاً في هذا المكان مع دافيد، في فترة عيد الميلاد، اعتبرته متطفلاً على احتفال عائلي. لكنها أدركت على امتداد الأيام الثلاثة الماضية أنه ليس متطفلاً على الإطلاق، وأنه يُعتبر أحد أفراد عائلة سام وكريس تماماً مثلما تعتبر هي نفسها كذلك.

مرّرت لسانها على شفتيها الجافتين. ثم بدأت تقول: «أنا...».

لكنها توقفت ما إن سمعت صوت جرس الباب، ثم تابعت بعبوس: «هل نتوقع قدوم أحد اليوم؟».

أجابها جون بجدية: «لا فكرة لدي على الإطلاق».

وقبل أن يمضي خارجاً من الغرفة، أمرها قائلاً: «انتظري هنا ريثما أذهب وأرى من الطارق».

مضى جون ليفتح الباب، وسرعان ما قال محيياً: «ديانا!».

لكن صوته كان يخلو من تلك البرودة الشديدة التي ظهرت قبل لحظات قليلة عندما تكلّم إلى مولي. بادرت ديانا إلى الاعتذار بجدية: «آمل ألاّ أكون قد وصلت في وقت مبكر جداً».

ثم التفتت لتنظر إلى مولي التي تقف وراءه، وقالت: «مرحباً مولي».

قبل أن تتابع قائلة: «لكن في الواقع، لم تحدد لي كريس موعداً محدداً في دعوتها لتمضية اليوم معكم جميعاً».

فتح جون الباب أكثر كي تستطيع الطبيبة الدخول، وقال: «أنا متأكد من أنك لست مبكرة جداً».

وعندما رأى الكيس الذي تحمله ديانا معها والذي أصدر بعض الأصوات من داخله، قال بمرح: «لا سيّما أنك وصلت حاملة الهدايا معك».

ضحكت ديانا شيشلوم بصوت خافت وأكّدت لهما: «لا يمكنني قبول دعوة كريس من دون المساهمة معكم بطريقة ما».

ثم أضافت موضحة: «إلى جانب أن أحد شركائي عرض أن يكون هو الطبيب المناوب لهذا اليوم، ذلك أن عمتيه وحماته يمكثنَ معه في فترة الأعياد».

وأنهت ديانا كلامها بسعادة: «وهو الأمر الذي يعني أنني حصلت على يوم عطلة غير متوقع».

كانت مولي تشعر بإعجاب حقيقي بتلك الطبيبة الجميلة فعلقت قائلة: «ممتاز! أنا متأكدة من أن كريس وسام سيكونان سعيدين جداً لقضائك الليل هنا».

أجابت ديانا بمرح: «أشك أنني سأبقى. لكن، شكراً لك على أي حال».

ابتسمت قليلاً ثم تابعت قولها: «أثناء مروري لاحظت عدداً من سيارات الشرطة في المنطقة... لا بد أن الشرطة تبحث عن السائقين المخمورين العائدين إلى بيوتهم».

– في الواقع أتيتِ في الوقت المناسب لتضيفي دعماً آخر للحجة التي تمنع مولي من العودة إلى لندن اليوم.

وجّه جون كلامه هذا للمرأة بمرح، بينما التمع التحدي في عينيه.. هذا

التحدي الذي كان من نصيب مولي وحدها عندما نظر إليها.

توجهت ديانا إلى مولي والقلق بادٍ في صوتها: «آه! لا. لا يمكنك ذلك. أنا انتقلت إلى السكن هنا، وتركت لندن منذ ثلاث سنوات».

هزّت رأسها لتتابع كلامها: «أعتقد أنها أكثر الأمكنة وحشة في العالم وقت الميلاد، خصوصاً عندما لا تكونين مع عائلتك».

تعلم مولي أن كل مكان في العالم هو مكان موحش إذا لم يكن المرء محاطاً بالأشخاص الذين يحبهم.. لكن وجودها مع جون في هذا المكان، ومن دون أن يبادلها شعورها بالحب، كان أمراً مؤلماً في الوقت نفسه.

قالت ديانا مشجعة بصوتها الدافئ: «لا تغادري يا مولي، لأنني أتوق إلى أن أتحدث معكِ. أتعرفين؟ أنا معجبة جداً بمسلسل «بايلي»».

ابتسمت مولي وقالت: «في هذه الحالة أنصحك بالتحدث مع دافيد».

لم تبد ديانا مقتنعة فردّت عليها: «لكنه أخبرني أنك ستمثلين معه حلقات المسلسل الجديدة».

ضحكت مولي من أعماقها، وقالت: «هل قال ذلك فعلاً؟ دافيد قال لك ذلك؟».

والتفتت لتفتح باب المكتبة، بعد أن تذكّرت فجأة أنها رأت دافيد يدخل إليها ليختفي هناك قبل ساعة من الزمن. وجدته مولي هناك جالساً أمام النافذة، شارداً بالطبيعة المغطاة بالثلوج، بينما وضع كتاباً غير مفتوح في حضنه. وكان ديانا وجون يتقدمان أثناء دخول الثلاثة إلى الغرفة، فداعبته قائلة: «ويقولون إن النساء يشردنَ!».

بدا دافيد متفاجئاً قليلاً لرؤية ديانا، فوضع الكتاب جانباً على الطاولة ببطء ملحوظ، ليقف ويبتسم قليلاً ابتسامة ملؤها التساؤل لم تلامس عينيه الحزينتين تماماً، ثم قال: «هل هذا اتهام أم ماذا؟».

قالت مولي من دون اكتراث: «آه! لا عليك».

وتقدمت لتشبك ذراعها بذراعه لأنها أحسّت بغريزتها أنه أمضى وقتاً كبيراً لوحده، لا شك أنه انشغل كثيراً بأفكار حزينة. تابعت كلامها قائلة: «تعالوا

لنذهب جميعاً وننضم إلى كريس وسام في المطبخ. يمكنكم أن تشربوا العصير بينما أساعد كريس في تحضير الغداء».

أومأ دافيد قائلاً: «يبدو لي أن هذه فكرة ممتازة».

ثم وجّه الدعوة إليها ممازحاً: «كوني في المقدمة يا ماكدوف».

أما قرار مولي بالمغادرة فقد نُسي أمره تماماً بين الترحيب بديانا والانهماك بمساعدة كريس بتحضير الخضار اللازمة للغداء.

* * *

- من المؤسف أنك لم تعودي ذلك المساء لترافقينا إلى الكنيسة.

قال جون ذلك ببساطة لديانا عندما جلس الستة إلى مائدة الطعام ليتناولوا الوجبة الرئيسية. ابتسمت ديانا التي جلست إلى يسار جون قليلاً، وردت بنعومة: «لا أدري كيف أفسّر ذلك، لكن الأطفال يختارون أن يولدوا ليلة عيد الميلاد. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الطفل قرر أيضاً أنه لا يمكنه انتظار سيارة إسعاف لتوصل أمه إلى المستشفى، وانتهى بي الأمر إلى توليده بنفسي بعد منتصف الليل بقليل. إنه مولود صبي، بصحة جيدة، وهو يرتاح الآن مع أمه في السرير منذ الواحدة بعد منتصف الليل، وهذا من دواعي سروري. لا بد أن ولادة الأطفال في منازلهم تجربة رائعة».

وجهت مولي نحو جون نظرة حادة. فبالتأكيد أقدم هذا الرجل عمداً على ذكر أمسية عيد الميلاد ليرى ما إذا كانت السيارة التي ظهرت في الطريق تلك الليلة هي سيارة ديانا. لكن بدا واضحاً من كلام ديانا أنها لم تكن هي. إلاّ أنها واثقة من أن جون لا ينوي مشاركتها في هذه المعلومات، وهو الذي يتجنب نظراتها عمداً... إلاّ إذا كانت مخطئة.

وفي الواقع بدا جون بعيداً جداً عنها أثناء تناول الجميع الطعام، مع أنها جلست قبالته مباشرة، وفي الوقت نفسه بدا ودوداً جداً مع ديانا شيشلوم. لا بد أن ذلك جرى بتشجيع من كريس، كما اعترفت لنفسها. لا بد أن صديقتها أخذت عدم اهتمام مولي بجون بمعناه الحرفي، فقررت أن تشجع عن عمد الصداقة الناشئة ما بين جون وديانا.

لم تكن الغيرة من بين المشاعر التي خبرتها مولي منذ وقت طويل، وهي لا تشعر بها الآن... لكنها كانت على علم بكل كلمة تبادلها جون وديانا، وبكل ضحكة تقاسماها. وعندما تبعت كريس إلى المطبخ لتساعدها على إحضار الحلوى، طلبت منها تحديد موقفها قائلة: «ما الذي تخططين له الآن؟».

تطعت كريس نحوها بشرود، وقالت: «عفواً؟».

لكن مولي بدت واثقة من أنها تفعل ذلك عمداً، وخصوصاً عندما لاحظت التجاعيد البشعة التي ظهرت حول عيني صديقتها الرماديتين، فابتسمت قليلاً وقالت بسخرية: «لا تمثلي دور البراءة معي».

وعندما استمرت كريس بالتطلع نحوها بشرود، قالت موضحة: «أعني جون وديانا».

أومأت كريس ببطء وقالت: «آه.. ذلك هو الأمر!».

قالت مولي بحرارة: «نعم، ذلك هو الأمر».

ردت كريس بنبرة مؤنبة: «ألست الآن تتصرفين وكأنك لا تعرفين شيئاً يا مولي؟».

استطاعت مولي أن تشعر بحرارة الخجل في خديها بسبب تقييم صديقتها الصحيح للوضع، فقالت باختصار: «لا تكوني سخيفة يا كريس».

ضحكت كريس بصوت خافت، ثم قالت: «هل أنا سخيفة فعلاً؟».

ثم رفعت حاجبين أشقرين، وراحت تتجول في المطبخ لتحضّر الشراب من المشمش الذي كان منقوعاً في الماء طيلة الليل.

تأوهت مولي بشدة، ثم انفجرت قائلة: «أنت تعرفين أنك كذلك. وجون هو كذلك أيضاً يا كريس. من غير المعقول أن تكوني بهذا العمى... عليك أن تعرفي أن جون يحبك أنت!».

تسمّرت كريس في مكانها على الفور، وأرسلت إلى مولي نظرة ملؤها الدهشة، ثم قالت مستغربة: «والآن، من هو السخيف بيننا؟».

بعدئذٍ هزّت رأسها ثم قالت مستنكرة: «بالطبع جون ليس واقعاً في غرامي.. إنه شقيق جايمس».

ردت مولي بسخط: «وماذا إذاً؟».

وببساطة، لم تستطع أن تفهم أن صديقتها لا تعرف مشاعر جون تجاهها.

كررت كريس بنفاد صبر: «إذاً، إنه شقيق جايمس!».

ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة، وأكملت كلامها: «بالحقيقة يا مولي، لا أعرف كيف تولّد مثل هذا الاستنتاج، لكنني أؤكد لك...».

قاطعتها مولي بخيبة أمل: «إذا كان جون نفسه...».

لكن كريس قالت بتلهف شديد: «ماذا؟».

قالت مولي بتهذيب شديد: «.. هذا ما لاحظته عندما يكون معك. إنه يحبك أنت يا كريس...».

قاطعتها كريس قائلة: «آمل أنه يفعل ذلك... فبعد موت جايمس، ثم وفاة والديّ بعده بستة أشهر، لم يبق لي من الأقارب إلاّ جون، لكن هذا هو كل شيء يا مولي».

أضافت كريس بعبوس: «هذا هو كل ما بيننا».

هزّت مولي رأسها بثقة شديدة وقالت: «لكن الأمر ليس كذلك من جهة جون».

أصرّت كريس بهدوء: «بلى، إنه كذلك من جهة جون. هل هذا هو سبب ابتعادك عن جون يا مولي؟ لأنه...».

لكن مولي ردّت بنفاد صبر: «أنا أبتعد عن جون لأنه لا يحبني».

ردّت كريس على الفور: «تفاهة! وإذا أردت رأيي يا مولي، أنت لم تعطه أية فرصة على الإطلاق ليحبك أو ليكرهك..».

قاطعتها بحزم: «أنا.. فعلاً لا أعطيه».

هزّت كريس كتفيها وقالت: «حسناً! في هذه الحالة تفضلي بمساعدتي في حمل الشراب فيما أنا أحضر الكريما».

هزّت رأسها بسخط، ثم أضافت بتأنيب بينما كانت ترفع الصينية: «لا أعرف في الواقع بماذا تفكرين يا مولي، فجون هو الأخ الأكبر الذي أفتقده دائماً».

لكن تفكير كريس هذا بشأن العلاقة لا يعني أن جون يمتلك نفس تلك المشاعر...

أصدرت كريس أمرها بحزم: «تحركي يا مولي».

ثم نصحتها قائلة: «وإذا كنت مخطئة وأنت تريدين جون فعلاً، فأنا أنصحك بأن تظهري بعضاً من مشاعرك».

أضافت كريس أخيراً بسخرية: «وإلا فإن ديانا ستسبقك إلى ذلك المركز».

إذا كانت تريد جون...؟

إنها تريد جون أكثر مما أرادت أي شيء في حياتها من قبل، لكن... آه، أليس من الغرابة أن كلمة «لكن» تبرز باستمرار عندما يتعلق الأمر بعلاقتها بجون؟

www.elromancia.com

١٣ - لا ترحل!

- لم تجيبي عن سؤالي بعد.

توترت لدى سماعها صوت جون، والتفتت ببطء لتكتشف أنه انضم إليها على السجادة الموجودة أمام المدفأة في غرفة الجلوس. كانت مولي تداعب الطفل بيتر، بينما جلس الباقون على مقاعد، ما عدا كريس وسام اللذان استلقيا على الأريكة واستغرقا في نوم عميق، بعد تناولهما طعام الغداء وشعورهما بالامتلاء. وكانت حتى هذه اللحظة تظن أن جون مستغرق في النوم على أحد المقاعد هو أيضاً.

همس جون في أذنها بصوت أجش: «أنت تحبين الأطفال، أليس كذلك؟».

قال لها ذلك قبل أن تتمكن من إجابته عن سؤاله الأول، ثم راح يمسد يد بيتر بلطف. بدا لها أنه يستمتع بالجلوس على السجادة بقربهما.

عبست مولي وأجابت بصوت منخفض حتى لا تزعج الآخرين بحديثهما: «الجميع يحبون الأطفال».

هزّ كتفيه، ثم أجابها بمرارة: «ليست الحالة دائماً هكذا، فأمي مثلاً لم تكن أماً بالمعنى الدقيق للكلمة».

ابتسم قليلاً لكن عيني مولي اتسعتا وقالت: «لكن.. كان لديها أنت وجايمس».

قال والكآبة تعلو وجهه: «تركتنا كلينا، آخذة معها كل أموال والدي تقريباً. كان جايمس في الرابعة من عمره فقط، وأنا كنت في الرابعة عشرة».

أغمضت مولي عينيها لأنها فوجئت بهذا الاعتراف الذي أتى من الرجل

الذي تعتبره منغلقاً على نفسه تماماً. لكن.. لعل ما قاله يفسّر سبب كونه هكذا...؟

ندّت عن جون ابتسامة كئيبة عندما تطلع نحوها ورأى تعابير وجهها. وقال لها: «لم تتوقعي سماع ذلك مني، أليس كذلك؟».

إذاً، ما الذي كانت تتوقع؟ فانطلاقاً من ثروته الظاهرة، وثقته الكبيرة بنفسه... نعم، كانت تفترض أن جون يعيش حياة رائعة على الدوام.. تماماً مثلما كان الحال مع جايمس. لكن هذه الاعترافات أشارت إلى نوع مختلف تماماً من الطفولة عن تلك التي تصورتها.

- بالطبع، بذل والدي أقصى ما بوسعه؛ أرسلني إلى الجامعة، وتعاقد مع حاضنات، ثم اختار مدرسة داخلية لجايمس.

تابع جون كلامه بصوت رقيق: «لكنه للأسف، مات إثر سكتة قلبية عندما كنت في العشرين من عمري، أما جايمس فكان في العاشرة فقط».

بالتأكيد لم تكن هذه بالخلفية التي تصورتها لهذا الرجل المغرور في الظاهر! عبست قليلاً، ثم عبّرت عن حيرتها قائلة ببطء: «لماذا تخبرني هذه الأشياء يا جون؟».

ضحك بصوت أجش، ثم اعترف بمرارة: «بالحقيقة؟ لا أدري.. لعلني تأثرت باللطف الذي تبدينه نحو بيتر الآن.. أو لتوضيح مدى خصوصية وتأثير هذا الاحتفال العائلي بعيد الميلاد عليّ أنا بالذات».

حدقت مولي فيه لعدة لحظات.. حدقت في شعره المنسدل على جبهته، وفي النعومة التي ظهرت في عينيه، ولاحظت أن فمه لم يكن قاسياً أثناء تطلعه إلى بيتر.

سألته بصوت خفيض: «إلى أي سؤال كنتَ تشير قبل دقائق قليلة؟».

حدّق جون فيها وأجابها: «كنت أشير إلى سؤالي: من منا سيرحل؟ إذا كنتِ تريدينني أن أرحل...».

أكدّت له بسرعة: «لا أريد ذلك».

إن مجرد تلميحها بمغادرته لهذا المكان يبدو قاسياً بما يكفي، لأن جون

يشعر هنا وكأنه في بيته، في الوقت الذي ليس لديه أي عائلة أخرى يمكنه البقاء معها.

ولعل هذا هو سبب إبلاغه لها بهذه الأمور حول طفولته. وبالطبع، لم تشك في أن يكون جون من ذلك النوع من الرجال الذي يتلاعب بعواطف شخص آخر بهذه الطريقة. فقد كان بكل بساطة منعزلاً من الناحية العاطفية، و لا يسمح لنفسه بالترحيب بأي عاطفة يظهرها الآخرون تجاهه على سبيل الشفقة.

يبدو أن جون خمّن بعض أفكارها، لأن فمه تحرك بطريقة تأنيبية، ثم قال بقسوة: «لا أريدك أن تشعري بالأسف نحوي يا مولي. أؤكد لك أنني بخير، شكراً لك!».

بالتأكيد، إنه بخير. فمن الواضح أنه يتمتع بأمان مالي كبير، وهو صاحب مهنة جعلته ناجحاً تماماً. ويبدو أن نقطة ضعفه الوحيدة هي في مجال افتقاده للعائلة الخاصة به، لكن مولي كانت متأكدة أن هذا الأمر كان نتيجة خيار شخصي له، إذا لم يساورها الشك بأن عشرات النساء معجبات بشعره الأشقر ونظراته الجميلة المتعالية، وهن على استعداد للزواج به وتقاسم الحياة معه. و.. هي أبرز مثال على أولئك النسوة..

أصلحت من جلستها لأنها تعرف بأن عليها ألاّ تدعه يخمّن هذه الحقيقة. لذا أبقت وجهها بعيداً عنه متجاهلة نظراته، في الوقت الذي انحنت فيه لترفع بيتر. شعرت بارتياح مفاجيء عندما قرّبت جسد بيتر الطري منها، ثم قالت بلباقة: «أؤكد لك يا جون أنني لا أشعر بالأسف أبداً تجاهك».

تمتمت مولي بنعومة عندما رأت الطفل يلتصق بعنقها ويستسلم للنوم على الفور: «يا للطفل الحبيب! أليس كذلك؟».

ندّت ابتسامة قصيرة عن جون، وأجاب: «بالتأكيد، وجد مكاناً مريحاً كي ينام فيه».

تطلعت مولي إليه بتفحص وعبست قليلاً. فهل هناك تلميح ما في نبرته، أم أنها تخيلت ذلك فقط؟

- دعيني آخذه منك وأضعه في سريره.

قدّم جون عرضه هذا وتقدم ليأخذ الطفل، وأثناء ذلك تلامست أصابعه بلطف مع أصابعها. شعرت مولي باحتراق في المكان الذي مرّت عليه أصابعه بلطف.

هل كانت لمسته تلك عرضية أم متعمدة؟ راحت مولي تتساءل وهي تراقب جون يعبر الغرفة كي يضع الطفل في سريره ويغطيه بغطاء صوفي. وعند عودته لم تكن قد اهتدت بعد إلى جواب عن هذا السؤال.

قال بصوت أجش وهو يمد يده لمساعدتها على النهوض: «أليس من الأفضل أن نتركهم ينامون ونأخذ مريلين في نزهة؟».

نظرت مولي إلى تلك اليد الطويلة الأنيقة، وبدا من الواضح أنها ما زالت تفكّر بلمسته فوق يدها.. تخاطرتها بالخروج وحيدة معه إلى خارج المنزل كانت كبيرة، لكن عدم الذهاب كان أمراً غير مقبول أيضاً!

تجاهلت يده الممدودة طويلاً، وانتصبت واقفة على قدميها من دون مساعدة منه، ثم وافقته على الفور: «تبدو هذه فكرة جيدة بالنسبة لي».

ابتسم جون بسخرية لأنها رفضت مساعدته، فنزلت يده إلى جانبه، وبادر إلى وضعها في جيب بنطلونه الجينز. بعد ذلك، وأثناء اجتيازهما الممشى إلى المطبخ، قال لها بلباقة: «يجب أن ترتدي ألبسة تقيك من البرد، لأن هناك توقعات بنزول الثلج هذا المساء».

شعرت مولي بارتياح داخلي بينما كانت تلف القسم السفلي من وجهها ورقبتها بشال الكشمير الزهري اللون الذي أهداها إياه في عيد الميلاد، وقبل أن ترتدي سترتها المصنوعة من جلد النعاج. كان شالاً جميلاً ذا ملمس ناعم وكان من الفظاظة عدم ارتدائه لسبب وحيد وهو أن جون أعطاها إياه.

- انتبهي.. دعيني..

تبرّع جون بمساعدتها عندما انزاح الشال من مكانه بسبب ياقة السترة. شعرت بأصابعه دافئة على خديها أثناء إرجاعه الشال إلى مكانه بلباقة. تراجع جون قليلاً ليستطيع إبداء إعجابه قائلاً: «يبدو الشال رائعاً بالفعل مع الحمرة الغنية لشعرك».

ثم أوماً مستحسناً وتابع إطراءه: «لكني عرفت أنه سيبدو رائعاً عليك عندما اشتريته».

نظرت إليه مولي من خلال رموشها، وكادت أناملها تتجمد بسبب الإطراء الذي سمعته. تقبلت إطراءه بكل سرور، وقالت: «شكراً لك».

ضحك جون من حذرها الواضح، ثم فتح الباب، فاندفعت موجة من الهواء الشديد البرودة وصفعتهما على الفور. قال: «على الرحب والسعة.. هيا ننطلق».

كان البرد قارساً بالفعل في الخارج، وكانت مولي ممتنة لأنها ارتدت شالها ليخفف البرد الشديد ويرده عن وجهها. أما يداها فدستهما في أعماق جيبي سترتها. كما أن الشال أخفى الاحمرار الشديد الذي شعرت به في وجنتيها بعد إطراء جون غير المتوقع لها.

وبعد أن مشيا لعدة دقائق من دون التفوه بكلمة، كسر جون جدار الصمت وسألها بهدوء: «لم تظني بأنني سأتركك، أليس كذلك؟».

كان مريلين يركض بسعادة خلفهما، وبدا من الواضح أنه مسرور بالبساط الأبيض الذي ارتدته الأرض. نظرت مولي بحدة إلى جون، وقالت: «عفواً؟».

قال مجيباً بهدوء: «أعني عندما التقيتك في شقة كريس وجايمس قبل أكثر من ثلاثة أعوام».

إذاً، لقد عاد إلى ذلك الموضوع نفسه!

التفتت بعيداً، وتكورت على نفسها داخل سترتها، إلاّ أنها ردت: «لا أتذكر أنني فكّرت بالأمر».

ندّت عنها آهة تنم عن نفاد صبر، وقالت: «جون، هل دعوتني للتنزه معك فقط لأنك تريد إثارة جدال جديد معي؟».

تراقصت ابتسامة على وجهه، والتمعت عيناه الزرقاوان الضاحكتان، وقال: «يا لملاحظتك الغريبة! لا».

هزّت مولي رأسها باضطراب، وقالت: «إذاً، أنت تمتلك طريقة مضحكة

جداً لإظهار مشاعرك».

علّق جون بمرارة: «طريقة مضحكة!».

ردت بنفاد صبر: «آه. بالتأكيد إنها مضحكة، وغريبة!».

توقفت فجأة عندما وصلا إلى البوابة التي تفصلهما عن الطريق الريفية، وتابعت: «جون، كم من المرات عليّ أن أخبرك أنني لم أفعل أي شيء - مهما كان صغيراً - مع جايمس؟».

حدّق فيها دون أن يغمض عينيه، لكن تعابير وجهه بدت غير مفهومة: «لا أظن أنك قلت لي ذلك في يوم من الأيام...».

تعمّق عبوس مولي. ثم قالت قبل أن تتابع المسير: «لكن.. بالطبع فعلت ذلك».

تسمرت في مكانها متمسكة بكبريائها، إلاّ أنها وجدت نفسها تستدير فجأة لتواجه جون بعد أن أمسك ذراعها بشدة. أمرته مولي ببرودة: «دعني يا جون».

أغمضت عينيها وعادت بأفكارها إلى الأحاديث التي جرت بينهما في الأيام الأربعة الماضية.. ومعظمها غير سارة. لا شك في أن عدم السرور هذا تمخض عن معركة إرادات متواصلة في ما بينهما. وبالطبع كانت هذه المعركة تجري عندما لم يكونا في حالة عناق.

مضت تقول بكبرياء وبصوت آخذ بالارتفاع: «حسناً، لم أكن على علاقة غرامية بأخيك جايمس! أو بعبارة أكثر تحديداً مع زوج كريس».

وأضافت بنبرة حازمة: «كريس هي أعز صديقاتي».

ثم تابعت تقول بنبرة ملؤها التأنيب: «لطالما كانت كذلك، وستبقى هكذا على الدوام. وأنا لن أفعل أي شيء على الإطلاق يمكن أن يؤذيها. وأعتقد أن الوقوع بغرام زوجها كان شيئاً يؤذيها، ألا تعتقد ذلك؟».

اعترف جون بهدوء: «من دون شك».

استمرت مولي في عرض قضيتها راغبةً في قول كل ما لديها كي تزيح هذا العبء عن صدرها، خصوصاً أن الفرصة مناسبة لذلك الآن. عادت تقول:

«حسناً، لن تتعرض للأذى، لأن شيئاً لم يحدث. حقاً تواجدت في شقة كريس وجايمس في تلك الليلة التي غابت فيها كريس. لكن ذلك لم يكن بسبب أية علاقة غرامية تربطني مع جايمس. وإن كنت تعرف أي شيء عني مهما كان..».

- أنا أصدقك.

- ... وصدقني عندما أقول لك إن هذه هي...

- أصدقك.

- ..الحقيقة.. عفواً؟

نظرت إلى جون بحذر ونظر إليها نظرة ذات معنى، ثم كرّر برقة: «قلت لك، أنا أصدقك يا مولي».

أغمضت عينيها وراحت تتساءل عما إذا كان ذلك جزءاً من خطته تجاهها، وتساءلت عما إذا كان لن يحوّر كلماته في ما بعد لتتماشى مع نظرته تجاهها التي لا يمكن اعتبارها نظرة إطراء بأي حال.

قالت من دون إكتراث: «آه!».

ندّت عن جون آهة عميقة، وقال: «الآن جاء دورك لعدم تصديقي».

شعرت مولي أن ساقيها لا تقدران على حملها، وذلك بعد أيام من توبيخ هذا الرجل المستمر وإذلاله لها. فأين هي عدائية جون الآن؟ ولماذا أصبح لطيفاً معها على نحو مفاجيء؟

سألها جون بنبرة جدية: «هل سيساعد في شيء لو قدّمت لك اعتذاري عن ملاحظاتي التي كانت بعيدة عن الإطراء... تلك الملاحظات التي أسمعتك إياها أثناء الأيام القليلة الماضية؟».

أجابت بحذر: «نعم، أعتقد أن الاعتذار يساعد».

كان حذرها مفهوماً من قبل جون، فتأوه بعمق و قال: «أعتقد يا مولي أننا نحتاج لنتحدث. لكني غير متأكد بأن هذا هو المكان الأنسب».

- هل كل شيء على ما يرام هنا، يا سيدي؟

التفتت مولي فجأة عند سماعها هذا الصوت، واتسعت عيناها عندما رأت

شرطياً يقف إلى الجهة الأخرى من البوابة. بسبب انشغالها بهذا الحديث غير المتوقع مع جون، لم تستطع ملاحظة سيارة الشرطة الواقفة بجانب الطريق، ولا حتى اقتراب هذا الرجل منهما.

نظر جون إلى الشرطي نظرة ملؤها الثقة والارتياح، ثم أومأ وقال: «كل شيء على ما يرام أيها الشرطي. فأنا والآنسة ماكدوف نأخذ الكلب في جولته المعتادة، بعد الغداء».

أومأ الرجل الآخر ونظر إلى مريلين اليقظ بشيء من الحذر، وقال: «افترض أنكما ضيفان مقيمان في فالكون هاوس كما أظن يا سيدي، أي مع السيد والسيدة واينغارد».

تقدم جون قليلاً ليمسك ذراع مولي بيد متملكة، وأجاب: «نعم، نحن كذلك. هل من أخبار جديدة؟».

أومأ الشرطي وقال: «أنا في طريقي الآن لرؤية السيد واينغارد».

قال جون بحذر وهو يضغط بأصابعه قليلاً على ذراع مولي: «آمل أن تكون أخباراً طيبة».

بدا الشرطي عابساً، وقال بنبرة حيادية: «يتعلق ذلك بكيفية نظرك إليها».

ثم أضاف بلباقة: «حسناً! سأنطلق الآن لأقابل السيد واينغارد، وسأترككما لتكملا جولتكما. طاب يومكما»

انطلق الشرطي نحو سيارته المركونة، وحياهما قبل أن ينطلق باتجاه فالكون هاوس.

عبست مولي بينما راحت تراقبه وهو يقود سيارته بعيداً، وتملكتها الحيرة حول مضمون المحادثة التي تبادلها الرجلان. كما لم تكن لديها أدنى فكرة عن طبيعة الأخبار التي استجدت، والتي سيبلغها الشرطي لسام، لكن بدا لها أن جون يعرفها بعد حديثهما القصير قبل قليل.

١٤ - لا أسرار بعد اليوم

التفتت مولي نحو جون بتصميم وقالت: «حسناً!».

ثم أضافت بقوة: «ماذا يجري هنا بالضبط؟ لكن أرجوك لا تعتبرني غبية وتجيبني «لا شيء»».

لاح شبح ابتسامة على وجه جون، ثم أضاف بجدية: «لم أكن على وشك أن أفعل ذلك. لكني أعتقد أن من الأفضل لو نعود إلى المنزل، وسأترك لسام أن يوضح لك ما يجري».

- لكن . . .

قاطعها جون بحزم: «لكن الأمر ليس بيدي فعلاً يا مولي».

ثم أضاف والعبوس يعلو وجهه: «لعلك ستعذريني لسلوكي نحوك على امتداد الأيام القليلة الماضية، حينما يشرح لك سام الوضع».

بدأت مولي المسير باتجاه المنزل قائلة له بتردد: «أشك في هذا».

لحقها جون بعدما سبقته بعدة خطوات فقط، وكان مريلين يتبعهما. قال لها جون: «هذا ما أخشاه».

أطلقت مولي صرخة مستنكرة وأجابت: «أنت لا تخشى شيئاً».

أجابها برقة: «لكنك مخطئة هنا يا مولي».

نظرت إليه نظرة حادة، فتابع قوله بنبرة جدية: «أخشى كثيراً ألاّ تسامحيني بعد أن يقدم سام تفسيراته لك».

هزّت رأسها بإجهاد وقالت: «إن عدم مسامحتي لك، لن تسبب لك الأرق في الليل. أنا أكيدة من ذلك».

أصبحت تعابير وجهه أكثر جدية وردّ عليها: «ستفاجئك النتيجة».

قالت مؤنبة: «نعم. . . ربما ستفاجئني».

أخذ جون نفساً وردّ عليها: «لا بد أنني تسببت بتدهور الأمور بيننا، ألا توافقيني على ذلك؟».

أكّدت مولي له: «لم يكن هناك أي شيء مشترك بيننا كي يتدهور».

ضغطت يداه على ذراعيها بشدة ليرغمها على التوقف قبل دخولهما إلى المنزل، وأدارها نحوه كي تواجهه، بينما أصبحت تعابير وجهه أكثر قسوة وبعداً عنها، وردّ عليها: «هل تعدينني على الأقل بالتحدث معي على انفراد، بعد أن يقول الشرطي ما عنده وينصرف؟».

تأوهت مولي وعلّقت قائلة: «وما هي الغاية من ذلك؟».

هزّها بلطف وقال: «هل تعدينني؟».

كانت مولي مصممة على الدخول إلى المنزل بأي ثمن فقالت موافقة: «نعم، إذا كان هذا ما تريده».

أومأ بجدية وقال: «أريد ذلك. نعم».

أجابت مولي: «حسناً. والآن، هل نستطيع دخول المنزل؟».

أصدر صوتاً دلالة على نفاد صبره قبل أن يتركها، ثم تبعها إلى داخل المنزل.

لم يكن أحد نائماً عندما دخلت مولي غرفة الجلوس بعد لحظات قليلة. فكريس وسام جلسا على حافة الأريكة في هذا الوقت، بينما بدا دافيد وديانا في حالة انتباه شديد، وهما ما زالا جالسين على مقعديهما. كانوا يصغون جميعاً إلى الشرطي الذي وقف قرب المدفأة، والذي أومأ ما إن لاحظ دخولهما إلى الغرفة بينما تابع كلامه للحاضرين.

أعلمهم الشرطي بلباقة: «تعرضت الآنسة جيبسون إلى حادث مؤسف. وقع الحادث على بعد ميلين تقريباً من هذا المكان قبل ما يزيد عن الساعة».

أضاف الشرطي بهدوء: «أخشى أن أقول. . بأنها توفيت».

هل ماتت الآنسة جيبسون؟ راشيل جيبسون؟ المرأة التي كانت خطيبة سام قبل اثني عشر عاماً؟ تلك المرأة التي اخترعت الأكاذيب عن سام، وأبلغتها للصحف بعد فسخ خطوبتهما، ما جعل سام يتأكد من أنها غير متوازنة عقلياً؟

تلك المرأة التي تسببت بتحويل حياة الجميع إلى مأساة قبل اثني عشر عاماً، وهذا الأمر ينطبق على سام الذي انتقل ليسكن في منطقة معزولة في يوركشاير من أجل الهروب من هذا الجحيم؟

شهقت كريس لدى سماعها الأخبار من ذلك الشرطي، وقالت قبل أن تحوّل وجهها إلى صدر سام: «يا إلهي! لا . . . !».

التفّت ذراع سام حول زوجته لتحميها، ثم سأل الشرطي بهدوء: «كيف حدث هذا؟».

أبلغه الرجل الآخر: «تدهورت سيارتها على الطريق الجبلية وسقطت إلى الوادي السحيق».

ثم أضاف معتذراً: «عندما وصلت فرقة الإنقاذ وجدتها ميتة».

وتابع والأسف ظاهر على وجهه: «أعتذر يا سيدتي عن إبلاغكم هذه الأخبار السيئة وقت عيد الميلاد».

أخيراً ختم قوله بحزم: «بالرغم من أننا أوشكنا على الامساك بها على ضوء الاتهامات الموجهة إليها . . . !».

ردّ عليه سام شاكراً بصعوبة: «نعم».

التفتت مولي نحو جون بعينين متسعتين مشدوهتين، وقالت غير مصدقة: «أية اتهامات؟ هل تتحدثون عن راشيل جيبسون؟».

تمكّن جون من الإجابة بصعوبة: «نعم. إنها هي نفسها».

وضع يده حول كتفيها وقادها إلى خارج الغرفة، ثم قال لها مشجعاً: «هيا بنا».

ثم تابع يقول بلباقة: «لن تحتاجي إلى سماع المزيد من هذا».

قادها جون نحو المطبخ وأجلسها على أحد المقاعد، قبل أن يسكب لها كوباً من العصير، ثم قال لها وهو يمشي على أطراف أصابعه لينا ولها الكوب: «اشربي القليل من العصير. فذلك سيشعرك بالتحسن».

شعرت مولي بالخدر نتيجة صدمة الأخبار التي سمعتها للتو، لذا شعرت أنها بحاجة إلى ما ينعشها.

وبالرغم من إحساسها المخدر، إلاّ أن عقلها بقي يعمل ببرودة وهدوء ليحلل الأحداث التي مرّت في الأيام القليلة الماضية، وليسترجع كل الأمور التي بدت بدون تفسير في حينها.

نظرت إلى جون بعينيها البنيتين الحزينتين، وراحت تخمّن بصعوبة قائلة: «كانت تلاحق سام. . أليس كذلك؟».

ثم تابعت بحزم: «هي صاحبة تلك المكالمات المقطوعة ليلة عيد الميلاد. . . وفي تلك الليلة، كانت هي مصدر الضجيج في الخارج، والذي أزعج مريلين كثيراً. . . حتى إنها سجنته في كوخ الحديقة بتلك الطريقة».

واستمرت بالتذكر بصعوبة: «كل هذه الأشياء كانت من صنعها».

قال جون بجدية: «نحن نعتقد ذلك، بالرغم من أننا لن نعرف على وجه التأكيد».

شعرت مولي برجفة تخترقها بسبب تصورها السبب الذي يمنعهم من ذلك.

قبل اثني عشر عاماً كانت راشيل بمثابة كارثة جثمت على حياتها، لأن أكاذيبها شجعت الصحافة على ملاحقة سام وأسرته بكاملها، حتى اضطر والداها إلى الانتقال من منزلهما. وكان على مولي أن تبدأ من جديد في مدرسة أخرى، أما سام فاضطر إلى عزل نفسه في يوركشاير. لكن، على الرغم من ذلك، فإن أفراد الأسرة لم يتمنوا الموت لهذه المرأة.

قالت مولي بنبرة ملؤها الثقة: «لا شك أنها هي. لكن كيف تمكنت من . . . ؟ وتلك المقالة الصحفية حول تعميد بيتر . . .».

اعترف جون بصعوبة: «نعم. لكن حدث أمر في عطلة نهاية الأسبوع. . يبدو أنه أخرجها عن حدود المنطق تماماً . .».

عبس جون بجدية قبل أن يتابع: «. . والشرطة تبحث عنها منذ ذلك الحين».

إذاً هذه هي الاتهامات التي ذكرها الشرطي. . .

تنفست مولي بهدوء وسألت: «ماذا؟ ماذا حدث في عطلة نهاية الأسبوع؟».

أخذ جون نفساً عميقاً، ثم تابع كلامه بحزم بعدما أصدرت مولي شهقة: «أقدمت على قتل أحدهم. الشخص الذي كانت تعيش معه».

ثم عبس بشدة وتابع حديثه: «وجدته مع امرأة أخرى... وقتلته».

ابتلعت مولي ريقها بصعوبة وردت: «لكن... كيف...؟».

قال جون بصراحة: «أقدمت على طعنه، لكن المرأة التي كانت معه أفلحت بالهروب. وللأسف، مات الرجل نتيجة جروحه البليغة، قبل وصول الشرطة».

شعرت مولي بالدوار، واخترقتها موجات من الغثيان عندما أيقنت أن سام كان معرضاً ليكون هو الضحية... لو لم يفسخ خطوبته معها قبل اثني عشر عاماً لتمكنت راشيل من...

أخذ جون الكوب من يدها، وشجعها بلطف: «انحني نحو الأرض وضعي رأسك بين ركبتيك».

استغرقت موجات الغثيان عدة دقائق قبل توقفها. توقف الدوار الذي شعرت به، لكن مرّت دقائق عديدة قبل أن يتمكن عقلها من القيام بوظيفته.

أصلحت مولي من جلستها، ثم قالت بنبرة اتهامية: «كنت تعرف كل شيء. كنت تعرف طيلة هذا الوقت...».

صحّح جون معلوماتها بحزم قائلاً: «عرفت ذلك منذ يوم واحد بالضبط، وذلك بعد أن اعترفت لسام بما حصل بيننا، بعد توجهك إلى النوم في تلك الليلة، عندها اعترف سام لي بكل شيء. فإحدى المكالمات التي ردّ عليها صباح الإثنين كانت من الشرطة».

ثم تابع مفسراً بعد سماعه النبرة الاتهامية الصريحة في صوتها: «وصلت بلاغات إلى الشرطة بأن راشيل جيبسون شوهدت في المنطقة. وبعد إجراء الشرطة للتحقيقات اكتشفت أنها وسام كانا مخطوبين ذات مرة...».

هزّ جون كتفيه وأكمل كلامه: «أرادت الشرطة أن تُعلم سام بالحادث، في بادرة منها بسبب علاقتهما السابقة. وأنا شخصياً أظن أنهم توقعوا مجيئها إلى هنا بحثاً عنه».

ردّت مولي قائلة: «إذاً كانت الشرطة مخطئة، أليس كذلك؟ أخيراً عرفت تلك المرأة مكان وجود سام بسبب الصورة، ولاحظت مدى سعادة سام مع كريس وبيتر. يا إلهي! هل كانت كريس تعرف بكل ذلك أيضاً؟».

بان العبوس على محياها بسبب الأفكار التي خطرت في بالها بشكل مفاجيء. سوف يزداد احترامها لكريس إن كانت على علم بما يجري. لكن كريس كانت مشغولة باحتفالات عيد الميلاد، عدا انشغالها بمرض بيتر، وكانت في غفلة عن النوايا والغايات التي تضمرها تلك المرأة...

ابتسم جون بتكلف، وقال: «سام لا يخفي شيئاً عن كريس».

تناولت مولي كوبها، وأفرغت محتواه في فمها، ثم قالت: «على العكس مما يحصل بينك وبيني».

ظهرت بقعتان ناريتان في خديها نتيجة غضبها الشديد ومضت في تحديها: «أظنك ستتهمني مجدداً بأنني عديمة المسؤولية».

لم يكن هذا الكلام منطقياً، هي تعرف أنه ليس كذلك، ورغم ذلك لم تستطع التغلب على مشاعر غضبها تجاه جون لأنه يعاملها مثل طفلة لا تستطيع مجابهة الحقيقة. وشعرت بغبن مماثل تجاه سام أيضاً. لكن جون أمامها الآن، ما يعني أن عليه هو أن يتحمل السخط الذي تشعر به.

- مولي...

ردّت بشراسة عندما هبّت واقفة، وكادت تلامسه: «لا تلمسني!».

نظر جون بحذر تجاهها ثم وقف ببطء، وقال لها: «لم تكن هناك من فائدة في جعلك تشعرين بالقلق، ثم...».

علّقت بشراسة بينما كانت عيناها تلتمعان: «أنا أعرف متى عليّ أن أقلق أم لا! سأقلق إن رغبتُ بذلك وعندما أريد... وليس عندما يقرر شخص آخر بأنه ينبغي أن أقلق».

تابعت كلامها غير المنطقي هذا: «يا إلهي، إنك رجل مغرور...».

حذّرها ببرودة: «أنصحك أن تتوقفي عند هذا الحد».

أكملت تحديها قائلة بوحشية: «... وخنزير، وخنزير مغرور. أنت الذي

منعت سام من إخباري بالحقيقة».

أدركت مولي في هذا الوقت ما حدث، وماذا كان سام يريد إبلاغها. لكن جون منعه من هذا بتحذيراته وإنذاراته. تابعت تأنيبها له قائلة: «يمكنني أن أتصور ما قلته له: «لا تخبر تلك المرأة الصغيرة! سيقلقها هذا الأمر»...

- لم يكن الأمر كذلك...

أجابت بقسوة: «بلى. كان كذلك».

ثم تابعت كلامها بدون أن تعطيه فرصة للإجابة والرد: «كان الأمر هكذا تماماً. حسناً! هل تعلم شيئاً يا جون ويبر؟ تستطيع الذهاب إلى الجحيم!».

استدارت على عقبيها وغادرت المطبخ إلى العزلة التي تؤمنها لها غرفة نومها، حيث ارتمت على السرير، وسرعان ما حولت غضبها إلى دموع.

بكت لأجل راشيل المسكينة، والمريضة، وذلك التعلق بسام الذي لم تستطع التخلص منه أبداً. بكت أيضاً بسبب الفوضى التي وجدت نفسها فيها مع جون، ومن أجل كل سوء التفاهم الذي حدث بينهما. وبكت فوق ذلك كله لأنها أدركت أنها ما زالت تحبه.

- هاي!

جاء صوت كريس منبهاً إياها بلطف وهي تتقدم لتجلس على السرير بقرب مولي بعد دقائق قليلة. كانت مولي تبكي بشدة، حتى إنها لم تسمع صديقتها عند دخولها إلى الغرفة. قالت لها هذه الأخيرة بحزم: «انتهى كل شيء الآن يا مولي».

جذبت كريس مولي نحوها، واحتضنتها بشدة قبل أن تتابع كلامها: «من أجل من تبكين يا مولي؟ أمن أجل راشيل أم من أجل جون؟».

تراجعت مولي كي تتمكن من النظر إلى وجه صديقتها، وأجابت: «هل حبي له واضح إلى هذه الدرجة؟»

ابتسمت كريس في وجه صديقتها مشجعة، ثم أضافت بمرارة: «فقط بالنسبة لي. فجون ليست لديه أدنى فكرة عن هذا الموضوع، أؤكد لك ذلك».

ثم نظرت إلى مولي متسائلة وتابعت كلامها: «وفي الواقع، أستنتج مما قاله

لي الآن أنه مقتنع بأنك تكرهينه».

ابتلعت مولي ريقها بصعوبة، ومسحت الدموع عن خديها، ثم قالت مخالفة كلام صديقتها: «هو الذي يكرهني، وذلك بسبب... بسبب... كريس هناك أمر أود إبلاغك إياه منذ مدة طويلة...».

ثم قالت بصوت أبح: «... وهو شيء يتعلق بجايمس وبي».

عبست كريس وقالت: «ما الأمر؟».

أغمضت مولي عينيها لفترة قصيرة، وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تبدأ الكلام لأنها أدركت أن الوقت قد حان الآن للبوح بكل شيء، إذ كان على كريس أن تعرف بذلك منذ وقت طويل. ثم أجابت عن سؤالها بمرارة: «هل تذكرين علاقتي الغرامية المأساوية مع ديريك؟ بالطبع تذكرينها».

ثم تأوهت بعمق قبل أن تتابع: «حاولت أن تحذريني من الوقوع في غرام رجل انفصل حديثاً عن زوجته... لأن الكثيرين من هؤلاء كانوا يتصالحون في ما بعد. لكني لم استمع إليك في ذلك الوقت. وكانت النتيجة هي أنني صدمت جداً عندما فعل ديريك هذا الأمر بالضبط».

بدت كريس مضطربة وقالت: «لا تقولي لي إنك ما زلت تحبينه؟».

أنكرت مولي على الفور: «لا! بالطبع لا».

أضافت بصوت ضعيف: «حتى إنني لست متأكدة من أنني أحببته أصلاً».

ذلك أن ما تشعر به تجاه جون حالياً جعل من ذلك الحب أمراً تافهاً.

تأوهت ثانية وهي تهز رأسها: «لعل الأمر كان مجرد إغواء وإطراء. لأنه كان ممثلاً مشهوراً عالمياً، ووسيماً جداً، وكان يرغب بي... على الأقل هذا ما فكّرت به في ذلك الوقت... شعرت باليأس عندما رجع إلى زوجته».

أومأت كريس التي ما زال الاضطراب يبدو على محياها: «أعرف ذلك».

ردّت مولي بحزم: «نعم. لكن الشيء الذي لا تعرفينه، والشيء الذي لم أخبرك إياه أبداً، هو أنني أصبت بالانهيار في الليلة التي عاد فيها ديريك إلى زوجته..».

أجابت كريس متذكرة بأسى: «أنت معذورة في ذلك، فهو لم يكن لطيفاً في

هذا الموضوع. وإذا تذكرت جيداً، فقد وصل معها إلى الحفلة التي أقيمت في تلك الليلة، وهي الحفلة التي كان من المفترض أن يرافقك أنت فيها».

شهقت مولي عند استعادة هذه الذكرى: «في تلك الليلة التي فقدت فيها صوابي...».

صححت لها كريس بثقة: «بل قولي الليلة التي شعرت فيها بالكثير من الأسى، وهذا كل شيء. فقد أكّد لي جايمس أنك سرعان ما استعدت رباطة جأشك».

أغمضت مولي عينيها لفترة قصيرة، وشعرت أن فمها أصبح جافاً وأجابت: «جايمس قال...؟».

قالت صديقتها: «بالطبع. أنا مسرورة لأنك التجأت إليه. أنا آسفة لأنني لم أكن موجودة كي أساعد، لكن جايمس أكّد لي أنه اعتنى بك جيداً».

أكدت مولي على كلامها لا شعورياً: «نعم، اعتنى بي جيداً. لكن... أنا... هل كنت تعرفين بأمر تلك الليلة؟».

أكدت لها كريس ببساطة: «حسناً! بالطبع كنت أعرف بأمرها».

شعرت مولي بدوار فعبست وهي تقول: «لكني... طوال هذا الوقت..».

وراحت تهز رأسها قبل أن تكمل: «... ولم تتحدثي عنها أبداً».

ندّت عن كريس ابتسامة كئيبة: «وماذا عساي أقول؟ فديريك كان رجلاً أنانياً جداً، كما أنه تسبب لك بالكثير من الأذى. وبالطبع، لم يكن هناك من فائدة من إثارة هذا الموضوع مجدداً، في وقت اتضح فيه أنك لا تريدين التحدث عنه».

- لكن في تلك الليلة التي مكثت فيها في شقتك...

سألت كريس بعبوس: «ماذا بشأن تلك الليلة؟ اسمعي يا مولي؛ إنك أفضل صديقة لدي، وأنا أثق بك ثقة عمياء، تماماً مثلما كنت أثق بجايمس، لذا فماذا يمكنني أن أقول بشأن تلك الليلة، ومن دون تذكيرك بتصرف ديريك السيء».

هزّت مولي رأسها وكأنها تشعر بدوار، وقالت: «لايمكنني أن أصدق أنك عرفت طوال هذا الوقت أنني كنت في شقتك مع جايمس، أثناء غيابك...».

ابتسمت كريس، ثم قالت من دون اكتراث: «كنت أعرف، لكني لم أفكر مطلقاً بأن هناك ما يعيب في هذا الأمر. فلماذا كان يجدر بي أن أفعل؟».

قالت مولي باستياء: «حسناً، بالتأكيد. لكن جون يرى عيباً في ذلك!».

بدت كريس متحيرة أكثر من أي وقت مضى وسألت: «جون يرى عيباً في ذلك؟».

شهقت كريس عندما بدأت الصورة تتوضح أمامها وتابعت: «آه، أنت تعنين في ذلك المساء حينما أتى ووجدك هناك؟ مولي هل تقولين إن جون شك بوجود علاقة بينك وبين جايمس؟».

اندفعت كريس بعد ذلك بالضحك. إلا أن مولي أبلغتها بسخط: «الأمر ليس مضحكاً يا كريس».

أخيراً شعرت بالارتياح لأن كريس كانت تعرف الحقيقة طوال الوقت، لكنها تحيرت برد فعل صديقتها عندما عرفت الاستنتاج الذي توصل إليه جون بالنسبة لتواجد مولي في شقة كريس وجايمس في ذلك الصباح.

وافقتها كريس قائلة: «لا، الأمر ليس مضحكاً. فأنت وجون غريبا الأطوار، أتعرفين ذلك؟».

انتصبت كريس واقفة، ثم أضافت بحزم: «أنت تعتقدين أنه يحبني... وهذا الأمر ليس صحيحاً البتة. وجون يعتقد أنك كنت على علاقة مع جايمس، الأمر الذي أنا متأكدة بأنه غير صحيح أيضاً. أتعرفين؟ بالنظر إلى تصرف الأشخاص الأذكياء، أستطيع أن أقول بأنكما تصرفتما بغباء شديد».

مع أن مولي لا توافق على رؤية كريس للوضع، إلا أنها ابتسمت وقالت: «شكراً لك!».

ردّت عليها كريس مؤكدة بطريقة جدية: «على الرحب والسعة».

تابعت كلامها بعد ذلك قائلة: «بالطبع لم تكونا غبيين تماماً، ففي غمرة هذا الاضطراب تمكنتما من الوقوع في غرام بعضكما البعض. وهكذا، فإنني

www.elromancia.com

أستطيع مساعدتك».

قاطعتها مولي مستنكرة: «جون ليس واقعاً في غرامي».

علّقت كريس بكل تأكيد: «آه، بلى... جون واقع في غرامك. فمن باعتقادك أرسلني إلى هنا لأنك مضطربة جداً؟ ومن هو الشخص الذي يذرع المطبخ جيئة وذهاباً، ويكاد يصيب أرضيته بالبلى منتظراً كي أنزل إلى الطابق السفلي وأطمئنه أنك بخير؟».

بلعت مولي ريقها بصعوبة وجمدت فجأة حين بدأ بصيص من الأمل يلتمع في داخلها، ثم قالت بتفاؤل: «جون...؟».

أومأت كريس وأمسكت بذراع صديقتها لتساعدها على الوقوف قائلة: «هو بالتأكيد. تعالي وانزلي معي...».

هزّت مولي رأسها بارتعاش شديد وقالت معترضة: «لا أستطيع!».

وبعد أن وجهت إليها صديقتها نظرة تأنيب، أضافت: «حقاً أنا لا أستطيع. ماذا لو كنتِ مخطئة؟».

طمأنتها صديقتها بحزم: «أنا لست مخطئة. مع أن المطبخ ليس المكان المناسب لـ..».

توقفت للحظة، وبدا من الواضح أنها استغرقت بالتفكير، ثم أومأت بعد أن توصلت إلى قرار ما: «حسناً... امكثي هنا، وسأرسل جون إليك...».

أكدت لها مولي: «لن يأتي».

تمتمت كريس: «سوف نرى. لكن لا تبقي هنا طيلة المساء...».

ابتسمت قليلاً، وتابعت: «وإلاّ فستجدين سام - بحسب معرفتي به - آتياً ليبحث عنكما، ويطلب من جون أن يتزوجك على الفور».

عبست مولي وقالت: «ليتك تكفّين عن النظر إلى الموضوع على أساس أنه مهزلة يا كريس».

تجاهلتها كريس تماماً وسألتها: «هل أستطيع أن أكون الوصيفة الأولى للعروس؟».

أبلغتها مولي بانزعاج: «أوه، ابتعدي عني!».

ردّت صديقتها قائلة: «إنني ذاهبة».

ومضت محذرة إياها أثناء خروجها من الغرفة: «لكن لا تحاولي الفرار عن طريق أنبوب مياه الصرف».

وعندما نظرت إليها مودعة، ابتسمت مرة ثانية، وتابعت كلامها: «فلن تظهري عروساً رائعة والجبس يحيط بساقك».

هزّت مولي رأسها دلالة على تعبها بعد أن أصبحت لوحدها، وبدأت تفكر أن كريس تحولت إلى مصدر عذاب لها، تماماً مثلما هو سام.

لكن تفكيرها هذا لم يلغِ احتمال أن تكون كريس الآن في المطبخ منهمكة في الحديث مع جون. هل كريس على حق يا ترى؟ هل سيصعد جون إلى هنا ليراها بعد حديثه مع كريس؟

ستتلقى جواباً عن ذلك السؤال في الدقائق القليلة القادمة!

١٥ - الحب الدفين

- قالت كريس إنك أصبحتِ بحال أفضل . . .

شعرت مولي أن قلبها يقفز في صدرها عندما التفتت لترى جون واقفاً بتردد في باب غرفة نومها، والتحفظ باد على وجهه، بينما بدا التعب على عينيه الزرقاوين العميقتين.

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تتمكن من الكلام: «آه. . ! نعم، أشعر بتحسن».

أومأت، وتابعت كلامها: «أنا . . . أنا آسفة لأنني صرخت بوجهك من قبل».

يا للروعة! فمولي توبخ نفسها بنفسها، لكنها تبدو كامرأة غبية حمقاء. في الواقع، إنها تشعر فعلاً بأنها غبية حمقاء. ذلك كله بسبب وجود جون هنا، تماماً كما أكدت لها كريس. لكن ذلك لا يعني أكثر من أنه يريد الاعتذار عن التسبب لها بالاضطراب بسبب عدم إبلاغها عن راشيل جيبسون من قبل.

أجابها على الفور: «إن ذلك مفهوم تماماً في ظل هذه الظروف. أخطأت عندما طلبت من سام ألا يخبرك».

أمر خاطىء، نعم . . لكن ألا يوجد تفسير آخر . . . سألته: «لماذا فعلت ذلك يا جون؟».

أخذ نفساً عميقاً، ثم ابتسم قليلاً: «أنا . . أتسمحين لي بالدخول . . . فالوقوف في الممشى هنا بين الناس هو أمر غير مناسب».

لكنها تعرف أنه باستثنائهما هما الاثنان، فإن دافيد فقط يمتلك غرفة نوم خاصة به في هذا الطابق من المنزل. ولعل دافيد منشغل الآن بالحديث مع

الآخرين في الطابق السفلي، لذلك كان من الصعب أن ترى الناس هنا. لكن، إذا كان جون يريد الدخول إلى غرفتها . . .

- تفضّل بالدخول.

وجّهت دعوتها هذه أثناء وقوفها أمام النافذة. دخل جون الغرفة وأغلق الباب وراءه بهدوء، فأحست بارتعاش شديد في يديها، فيما استدارت لتنظر إليه بحذر.

ندّت عن جون ابتسامة متكلفة تنمّ عن عدم الارتياح وهو الأمر الذي تشعر به هي أيضاً.

- أنا . . .

ترددت مولي وهزّت رأسها، لأنها لم تعرف فعلاً من أين تبدأ.

أخذ جون نفساً عميقاً، ثم قال فجأة: «هل قولي إنني لست على علاقة مع كريس، يساعد في هذا الوضع؟».

شعرت مولي بإحساس غريب في داخلها. حسناً! ها هو يقول إنه ليس على علاقة مع كريس، لكن تصريحه هذا لا يعني أنه يحبها هي.

عضّت على شفتها لمنعها من الارتجاف، ثم تمكنت من إبلاغه بصوت ثابت وحازم: «وأنا من جهتي لم أقع أبداً في غرام جايمس، ولم تكن لي معه أي علاقة غرامية».

- أعرف ذلك.

أومأت قائلة: «لا بد أن كريس أخبرتك . . .».

قاطعها جون بتصميم: «لا . لم تبلغني كريس أي شيء».

اتسعت عيناها وعلّقت: «لكن . . .».

تابع كلامه مقاطعاً: «لم تضطر لذلك. أعلم أنني مدين لك باعتذار يا مولي . . . عن كل الأشياء التي قلتها لك على امتداد الأيام القليلة الماضية».

هزّ رأسه، وكأنه يلوم نفسه. ثم ادخل يديه في جيبي بنطلونه وتابع: «رأيتك في شقة جايمس ذلك الصباح، وأنا . . .».

ختمت تصريحه عنه، وقالت: «استنتجت كما يحلو لك».

www.elromancia.com

هزّ جون رأسه، وقال: «لا. ليس ذلك ما حدث أبداً».

أطلق جون ابتسامة متكلفة أخرى قبل أن يتابع: «عندما رأيتك في ذلك الصباح، كان شعرك أشعث، والنعاس بادٍ على وجهك، فيما بدا جسمك رائعاً على الرغم من تلك القميص غير المناسبة لك، وأنا...».

أخذ نفساً عميقاً ثم أبلغها بطريقة فظة: «كنتِ أجمل امرأة رأيتها في حياتي!».

اتسعت عينا مولي مشككة بكلامه، وشعرت بالارتباك وهي ترد عليه: «كان منظري رهيباً! فشعري كان أشعث، ووجهي بدا منتفخاً، ولم أجد أمامي سوى قميص جايمس لأرتديه أثناء النوم. لا يمكنك والحالة هذه... هل ظننت فعلاً أني جميلة؟».

أومأ جون بحرارة ثم أضاف بصعوبة: «بالطبع، لكن الأمر بدا وكأنك ملك أخي».

أبلغته مولي بمشقة: «لكن ذلك ليس صحيحاً. فأنا لم أكن ملك أخيك أبداً. كم من المرات عليّ إبلاغك هذا؟».

أكد لها بجزم: «ليس عليك أن تخبريني هذا بعد الآن. المسألة هي أنني وقعت في حبك في ذلك الصباح على أية حال...».

شهقت مولي غير مصدقة وأجابته: «لا يمكنك أن تكون وقعت في حبي!».

أومأ جون وردّ عليها: «آه! نعم. أمكنني ذلك. ثم أمضيت الشهور القليلة التالية وأنا أقول لنفسي كم أنا مغفل... وإن مجرد تعلقي بك كان أمراً خطيراً، وإن الوقوع في حبك هو ضرب من الجنون، وإن من الأفضل للجميع أن أنساك كلياً، وكدت أنجح في ذلك...».

تحرّك فمه بمرارة قبل أن يتابع: «... حتى رأيتك ثانية في صباح يوم حفل التعميد».

بدأ وميض الأمل الضئيل الذي شعرت به أثناء حديثها مع كريس بالانفجار داخلها، وكادت تحبس أنفاسها عندما ذكرته: «كنت رهيباً معي».

أحقاً قال لها جون إنه وقع في غرامها منذ ما يزيد عن الثلاث سنوات؟

اعترف لها جون بصراحة قائلاً: «أعرف ذلك... أقدمت على ذلك عمداً.. فأنا بكل بساطة لم أستطع التصديق أن شعوري تجاهك لم يتغير طيلة هذه السنوات التي مضت بسرعة كبيرة. وكنت أفكر بما يمكن أن يحدث لو أن كريس عرفت بأمر علاقتك مع جايمس».

هزّ رأسه بمرارة وتابع قائلاً: «على الرغم من ذلك بقيت على حبي لك».

عبست مولي بألم وردّت عليه: «لكنك قلت لي لتوك بأنك صدقتني عندما قلت لك إنني لم أكن على علاقة مع جايمس...».

تأوه وردّ عليها مقاطعاً: «لا! ما قلته في الواقع هو أنني أعرف أنك لم تكوني كذلك يا مولي. فأنت لست فقط أجمل امرأة رأيتها على الإطلاق، بل أنت المرأة الألطف والأشد تعاطفاً التي تعرفت عليها. إن إخلاصك لكريس وسام لا يمكن إنكاره، وكذلك حبك لهما. أما حنانك تجاه دافيد فيدعو إلى الإعجاب، كذلك الأمر بالنسبة لعنايتك اللطيفة ببيتر... لا يمكنك يا مولي أن تسمحي لنفسك بإقامة علاقة مع جايمس حتى لو كنتِ تحبينه!».

اعترفت مولي قائلة: «لا. لكني لم أكن على علاقة حب معه، لأنني كنت أظن نفسي مغرمة بشخص آخر».

ثم اردفت بسرعة لأن جون كان على وشك الرد عليها: «كان رجلاً انفصل عن زوجته، وعاد إليها في الليلة التي سبقت رؤيتك لي في الشقة».

ابتسمت قليلاً ثم اعترفت بهدوء: «لم تكن تلك أسعد ساعات حياتي».

قال جون بقوة وبعض التشكك: «لكن ألا ترين يا مولي؟ ذلك لا يهم، إلا إذا كنتِ لا تزالين غارقة في حبه».

بدا جون مشككاً في آخر عبارة قالها؟ إلا أن ذلك لم يعطها إحساساً بالتعادل في مشاعرهما!

بلّلت شفتيها الجافتين ثم أبلغته بهدوء: «لا، لم أعد واقعة في حبه يا جون».

أضافت وهي تكاد تشعر بالخجل: «كيف أحبه وأنا واقعة في غرامك؟».

اتسعت عيناه، واتقدت المشاعر في عينيه الزرقاوين الداكنتين العميقتين. ثم خطا خطوة أخرى نحوها، وتوقف متردداً.

كان على مولي أن تخطو بنفسها آخر خطوتين قبل أن يأخذها بين ذراعيه. وفي الواقع، كادت تلقي بنفسها بين ذراعيه، ثم صرّحت له بقوة: «أنا أحبك يا جون. . أنا أحبك كثيراً».

تحركت يداه لتحيطا بوجهها، وغمرته العاطفة حين سألها: «هل ستتزوجيني؟ أقسم أن أحبك حتى آخر يوم من أيام حياتي».

نظر إليها نظرة مليئة بالحب وقال: «أردتُ أن أحميك يا مولي عندما أخفيت عنك أمر راشيل جيبسون. فأنا لم أنظر يوماً إليك بأقل مما أنت عليه، ولن أفعل ذلك أبداً في يوم من الأيام».

ثم مضى يقول: «أريد فقط أن أحميك وأحبك للبقية الباقية من حياتنا».

كادت مولي تشعر بالاختناق لأنها أرادت أن تضحك وتبكي في الوقت نفسه، ثم قالت متقبلة كلامه: «نعم. آه! نعم، جون. سأتزوجك».

وبينما كان يضمها إليه ليعانقها بلطف شديد، عناقاً مفعماً بالحب الذي أحسه تجاهها، أدركت مولي أنها وجدت أخيراً الرجل الذي تحبه فعلاً، والذي يبادلها حباً صادقاً لا شائبة فيه.

* * *

أكّد لها جون برقة: «تبدين رائعة، مع أنني غير متأكد مما إذا كان اقتراحي عليك بارتداء إحدى قمصان دافيد هو أمر صائب».

عبس بشدة قبل أن يمضي قائلاً: «تجعلني هذه الفكرة أرغب في معانقتك وإبعادك عن الآخرين».

ضحكت مولي بصوت خافت: «ليس الآن يا عزيزي».

نظرت بحدة إلى الاستديو المكتظ، وإلى المخرج وكل التقنيين المحتشدين للعمل على مسلسل بايلي، حيث يفترض أن ينتظرها دافيد في غرفة النوم مترقباً عودتها من الحمام المجاور.

وعدها بتهذيب: «في وقت لاحق إذاً».

كررت مولي بصوت أبح: «في وقت لاحق».

مضى على زواجهما الآن ثلاثة أشهر وتحققت أمنية كريس في أن تصبح

الوصيفة الأولى للعروس، بينما كان سام إشبين جون.

مرّت ثلاثة أشهر من السعادة الخالصة بالنسبة لمولي وجون. وعمل الاثنان سوية معاً لأوقات طويلة، لأن جون أصبح المصمم الجديد لديكور مسلسل بايلي. وعرفت مولي الآن أي صدفة جمعت الممثل دافيد مع مصمم الديكور الداخلي جون ليلتقيا في احتفال عيد الميلاد.

وبسبب انشغال جون بالحلقات الجديدة لمسلسل بايلي، استطاع أن يدلي بدلوه في مسألة المشهد الحميم الذي تكلما عنه في عيد الميلاد، وكان يعرف مدى نفور مولي من هذا المشهد. . . ولأن لديه هو أيضاً بعض الاعتراضات في ما يتعلق بذلك المشهد فقد اقترح أن تعود مولي إلى غرفة التصوير مرتدية قميص دافيد.

اتكأت على جون وقالت له: «في الواقع. . من المستحسن أن نصوّر هذا المشهد الآن. فبعد أشهر قليلة لن أستطيع تمثيل مثل هذا المشهد».

تطلع إليها جون بقلق. لكن ذراعيه تحركتا لتطوقانها وتحميانها، وقال لها: «لمَ لا؟ ما الأمر يا مولي؟».

ضحكت مطمئنة: «لا شيء إطلاقاً».

تأملت وجه زوجها بنظرات ملؤها الحب، ثم أضافت مداعبة: «ولكن أليس غريباً أن تظهر صديقة بايلي حامل في هذا المشهد؟».

استطاعت مولي مشاهدة تأثير ما قالته للتو على زوجها، إذ نظر إليها غير مصدّق وزاد من شدة عناقه لها، ثم شهق أخيراً، وقال: «مولي!».

اقتربت مولي أكثر لتنعم بالدفء الذي يقدمه إليها صدر جون، ثم أكدت بصوت خافت: «بعد ما يقارب السبعة أشهر سيكون لبيتر ابن عمة صغير».

شعرت بسعادة لا توصف لمعرفتها أنها تحمل ابنهما.

بدا أن جون وجد صعوبة كبيرة في الكلام، بينما راحت عيناه تلتمعان بشدة من الحب أثناء تطلعه نحوها. شعر بقليل من الدوار ثم قال مؤكداً: «رائع جداً! آه يا مولي، أنا أحبك فعلاً».

أكدت له بجدية: «وأنا أحبك أيضاً».

ومضت تقطع له وعداً: «وسوف أحبك طيلة حياتي».

ضمّها من جديد في عناق حار، وردّد كلماتها قائلاً: «طيلة حياتي».

- أكره مقاطعتكما...

قال دافيد ذلك بجدية بعد مضي دقائق عدة، ومضى يقول: «لكني أخشى أن أستسلم للنعاس فعلاً إذا لم تدخلي إلى غرفة التصوير في وقت قصير يا مولي».

رفع جون رأسه ليبتسم بوجهها، ثم قال: «أعتقد أن حضورك ضروري يا حبيبتي».

قالت لزوجها مخمنة: «أعتقد أن دافيد منشغل الآن بنفسه بعد قضائه عطلة الأسبوع بعيداً. يبدو أنه قاد سيارته إلى يوركشاير في عطلة نهاية الأسبوع، ودعا ديانا شيشلوم لتناول طعام الغداء معه».

ابتسم جون وقال: «هذه أنباء سارة».

بادلته ابتسامته وقالت: «لربما سنشهد عرساً آخر في «العائلة» في وقت قريب».

تحوّلت ابتسامة جون إلى قهقهة من القلب، وقال: «ها أنت أصبحت مثل كريس في تدبّر أمور انتقاء الأزواج».

مدّت مولي يدها بلطف لتلمس خديه، ثم أبلغته بجدية: «ربما يرجع هذا إلى أنني أريد أن ينعم الجميع بمثل سعادتنا، تماماً مثلما تمنت كريس ذلك».

حذّرها دافيد قائلاً: «إذا لم تأتي إلى هنا بغضون الثواني العشر التالية، فسأضطر إلى إحضارك بنفسي».

وقبل أن تمضي مولي مسرعة أبلغت جون: «أراك في ما بعد».

بعد أن مضت ناداها قائلاً: «أحبك!».

يا لها من كلمة رائعة ومحببة!